الدكتور
محمد حسن عبد الله

# حادثة خط الإستواء

مسرحية





دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

حادثة خط الاستواء

# حَادثة خط الاستواء

## مسرحية

الدكتور محمد حسن عبد الله

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

# حَادثة خط الاستواء

## (رؤية فى أسطورة حىّ بن يقظان)

## الشخصيات :

| | |
|---|---|
| حيّ بن يقظان | |
| أبسال | صاحب حيّ |
| سلامان | صاحب حيّ |
| ابن سينا | الفلاسفة الثلاثة |
| ابن طفيل | الذين ألفوا قصة |
| السهروردي | حيّ بن يقظان |
| فاتك | ثائر |
| جالبة | عشيقة الثائر |
| همّار | حارس فاتك |
| | وتابعه |
| أشجان | أخت الملك الظالم |

# الفصل الأول

## المحاولة

**المنظر**

نهار يوم مشرق، الوقت ضحى، ساحة تترامى من خلفها غابة، من وراء الغابة بحر يحدد جزيرة. في أقصى يمين الساحة غرفة بدائية من خشب الأشجار والحجر، على الشمال حوض صخري، وما يشبه الشادوف، قربه منضدة من أغصان الشجر. قطع من الحجر والجذوع تستعمل كمقاعد، بين المنضدة والغرفة ما يشبه المحراب تظلله أشجار صغيرة، بجواره فأس ومنجل، دلو وآثار نار في موقد، بعض قطع النسيج معلقة يلعب بها الهواء.

**أبسال وسلامان:** كهلان فوق الأربعين، يلبسان ثياباً خشنة تظهرهما أكبر من سنهما. **أبسال** في المحراب جالساً يدعو ويتضرع. **سلامان** يقبل من جهة الشاطئ وفى يده سلة تظهر أعواد البقول منها، يخطف خطواته فزعاً، يتلفت لا يستطيع أن يدارى انفعاله.

سلامان : أبسال! أدر كني!

**(أبسال مستمر في صلاته)**

مازلت تصلىّ؟! معذرةً، سأروض الصبر

وأداعب شتى أفكاري، وأقلب كل وجوه الفعل.

علّي أتوقّى موجَ الشّر.

أبسال : **(منهياً دعاءه)**

لا شرَّ بإذن الله.

من أين يجئ الشرُّ ولا إنسان؟

وتراني وحدي في المحراب؟

سلامان : **(مرددا)**

ولا إنسان ؟!

أبسال : الوحدة كفٌّ وطهارة ..

إذ تلزمُ ذاتك تتأمل،

ولسانك في معتقل الصمت.

الصمت صلا ة ..

الصمت طواف ..

**سلامان** : لكن ...

**أبسال** : لكنك ماذا؟

(**يرمقه**) ترتجف سلامان! حدثنا تتوقع؟

**سلامان** : بل رؤية عين يا أبسال!!

هذا البحر الساكنُ مرآة، لم يخدشْه شراعْ،

لكنى الآن رأيت شراعا

**أبسال** : رأيت شراعا؟

فلتهنأ باليوم الآتي ..

ولتسبحْ في موج الأفكار،

زوارُك بحرٌ من عرفان.

**سلامان** : عبارة رؤيا؟! ما كنت بنائم ..

بل رؤية عين!!

**أبسال** : كنا نتذكر ..

أحسبنا ننتظر شراعاً.

**سلامان** : هذا ما كنا نتوقعْ ..

زوارا وشراعا في الغرب

لكنى حين ذهبتُ على الطرف الآخر،
شاهدتُ شراعاً يتأرجح،
خلف الأشجار،
وبقايا أكل وفواكه!!

**أبسال** : فليهدأ بالُكَ بعض الشيء.
من يأكل زادَك قد يتردد أن يؤذيك
هل طُفْتَ بحيٍّ بن اليَقظان؟

**سلامان** : من قبل الشمس.
وكان يلازم صومعتَه، وينادى من
أعماق القلب: يا ربَّ الكون!!
هبْ لي فتحاً وسلاما!

**أبسال** : وسلامُ القلب عناقُ اليأس.
ويأتي الفتحُ على الأعقاب.

**سلامان** : أبدا، لم يضمر ما قدَّرتْ.
قد همست شفتاه كلاما،
ينبئُ عن أمر جَدٍّ عظيم.

**أبسال** : ماذا هَمَستْ؟

**سلامان** : ضاق اليوم بحُلم الغد!! هذا ما قال.

**أبسال** : **(مرددا)**

ضاق اليومُ بحلم الغد؟!

ماذا يعني؟

**سلامان** : خـــمِّن أبسال!

**أبسال** : لا يُحسنُ أبسالُ التخمين.

**(صمت)**

وأنت سلامانُ، احدسْ!

**سلامان** : لا شهوة لي في صيد مُحالْ

فالآتي من أسرار الغيب،

وعناء اليوم هو الشاغل،

فلنترك غَدَنا للأقدار.

**أبسال** : عجزا أو إيمانا؟

**سلامان** : ما الفارق؟

**أبسال** : الفرقُ كبيرْ

سلامان : لا أرغب في مثل آخر ..
هذا رأيي.

أبسال : سنُمَحِّصُ رأيَك بعد قليل.
وعْدَ الصُّحبهْ.
عقليْن تآخينا.
فإذا ماجدّ الرأيُ ..
سبرناه على ضوء الآخر؛
فيحلّقُ طيرا بجناحين.
**(صمت)**

أبسال : لكنْ، حدثني: أيَّ طعام قد
أعددتُ

سلامان : كما ترى يا صاحبي،
طعامنا وفير .
جادت لنا السماء بالعطاء .
نسعى فنرزق ..

أبسال : بالذي نريدُ نحن، أو تريده

السماء؟

**سلامان** : وهل ترى تعارضًا؟

**أبسال** : لعله يكون!!

**سلامان** : فإنني لست معك؛

فما أريد قد أراد الله أن يكون

هاجسا من الفكَرْ،

وما يريد أن يكون، يغادر الظنون،

ويستوي مجسداً، يصافح العيون.

**أبسال** : ما أدراك بأنّ مرادَك لا يتحقق؟

سلامان! أفسح لي في صدرك،

لست أُجَدِّف.

قد أتممتُ وضوئي الآن.

لكنى أتساءل: شئتَ فكان!!

ما يدريك بأن الكائن لم يصدر عن

ذات الإنسان؟

**سلامان** : أحكي لك أبسال طرائفَ ممّا حدث

اليوم.

ما فوق الواقع مسرح أفكاري.

**سلامان** : شطحات صوفية، صاحبها يملك معدة،

تتلوَّى إن فَرَغَتْ!!

**أبسال** : سلامان! إنك لم تفهمني..

**سلامان** : بل إنك لم تسمعني يا أبسال.

**أبسال** : ستقصُّ حكاية؟!

**سلامان** : سأقصُّ الواقع لا أعدوه، ثم نجرِّد عبرة،

أو معنى، أو فكره.

**أبسال** : صبرا، أكملْ. ماذا كان اليوم ؟

إحْكِ سلامان.

**سلامان** : **(مستأنفاً مشيراً إلى الكوخ)**

تذكُرُ صاحبنا كيف اشتاق لأكل البقْل،

قلتُ لنفسي: إن كان الغد،

سأطهو البقل.
ما كاد الضوءُ يذهِّبُ قمم التلّ،
حتى كنت
أفتش في الدغْل عن البقل.

**أبسال** : ولَمَ التفتيش؟ بأيدينا قد تمَّ
الغرس؛
بأعيننا قد نجم وثار، بمنجلنا
يمكننا الحصد،
يا رجل الواقع والممكن؟!

**سلامان** : يأتيك كلامي بعد قليل.
أما الحاصل: فالأرض يبابْ،
والبقْلُ ترابْ !!
بردَ الليلُ عن المعتاد، فاسودَّ
الأخضر،

وانهصر اليابسُ، والثمرةُ قد
أهلكها الدود.

**أبسال** : هذا شئ محتمل في ظل الواقع
حيث تعيش:
سَبَبٌ ونتيجة!!
ومثالك عن شجر سابق، قد مدّ
جذورا للأعماق،
يصلح أيضا للتنظير .

**سلامان** : لكنْ، يا أبسال.
قد قَسم اللهُ طعاما آخر!!
عدت كئيباً، خطواتي تهرف في
غير مكان.
قادتني قدماي لشطٍّ البحر ..
ارتحت لرقص الموج، وهمس
الريح ..
لكنّ المدهش حقا، أن مرايا

يعنى أن تمحُوَ ذاتَك في ذاته،
يعنى ألا تضمر أي إرادة،
بل تمضى مثل الريشة داعبها تيار
هواء.

**سلامان** : تعنى: لن تأكلَ هذا السمك
الطيب؟

**أبسال** : إن كان أراد.

**سلامان** : أنت، ألا تهفو نفسُك
ويسيل لعابُك للنكهة والمرأى؟
أنظر أبسال:
تلك السمكة حوت،
تكفى لغداء ثلاثتنا!!

**(تقتحم جالبة، وهى ذات جمال غجري، تتدفق حيوية وكلاما، ولا تترك فرصة لأحد أن يسألها عن شئ)، (تقبل عليهما من خلف الكوخ، تخطف رقعة نسيج وتلعب بها في وجهيهما في حركات إغراء)**

جالبة : شكراً إذ جعلتماني في العدد،

**(تجلس بينهما وتمد ساقيها)**

: الآن ثلاثة، وإن نفسي لتطيب

بالسمك،

أحبه بقدر كرهي لغسل الفم

واليدين.

أحبه، وإن هرشت بعد الأكل ليلة

أو ليلتين.

أبسال : بسم الله.

سلامان : من أنت أمة الله؟ وكيف أبلغتِ

المكان المنقطع ؟

هذى قلعة، يحميها الموج الهادر

من كل الجنبات

موقعها لا يعرفه ربّانٌ في بحر

الظلمات.

أبسال : أتراك ذكرت شراعاً جاء من

المشرق،

أتراك نسيت؟

جالبـــة : **(تداعب سلامان بخشونة – تضرب قدمه بساقها)**

: وأنت كيف جئت؟

وهذه العيون الكاسرة، قد صادت

الشراع.

**سلامان** : ومن تكون غادة المجهول؟

ومن يكون خلفها عند الشراع؟

**جالبة** : واحدة من البشر !

مالَك تنظر باستغراب ؟!

وفى يدي رسالتان،

وليس في الغريب أن

أقول: إنني إحداهما إليه.

**سلامان** : إليه ؟! من تعنين ؟!

لا أحد سوانا إلاّ الله.

**أبسال** : لا موجود بكل الصدق سواه.

هل حيّ من ذهب ورخامْ؟

أبسال : أنا لم أرَ فيه غير التلميذ!!

جالبة : أنت تراه بأفكارك.

الرجل الكنــز

طبقاتٌ من ذهب ولجين.

وسأكشف سرّ الكنــز الآن.

أبسال : هو كنــز الروح بغير جدال،

سلامان : وكنــز العقل.

أبسال : اتفق معك.

تلميذاً كان

أما بعد الخلوة والرحلة، فالتلميذ

هو الأستاذ.

سلامان : (لجالبة)

أرأيتِ؟

صاحبنا علمناه، فعلّمنا ..

جاوز حدّ المصطلحات،

أروع ما في العالم أن يتعلم،
من شيخ يتعلم
من طفل يتعلم
من شجر يتعلم
من حجر يتعلم

جالبة : من جالبة يتعلم ..
قد قلت ما أريد.
لا تثرثر جاهداً في الاختفاء.
ومهّد اللقاء مثلما يليق، بحبك
الحقيق، يا سلامان.

سلامان : عرفتْ اسمي (لجالبة) من أين
أتيتِ؟

جالبة : هذا موضوع جاوزناه، وأريد
لقاء ابن اليقظان.

أبسال : حيّ؟

جالبة : لا أحدَ سواه.

أبسال : الرجل الكنـــز على قولك؟

جالبة : كنـــز عملاقٌ فاق الوصف.

أبسال : لا أقدر

هذا محال، دونه النجوم في

السماء.

جالبة : إذا أراد الله ليس مستحيل!

ألسْت قلت هذا من قليل؟!

**(أبسال صامت في ذهول)**

سلامان : بلى، ولكن هاهنا الأمور تختلف.

فحيّ في محرابه قد اعتكف،

ولا يحق للنساء أن تقوم في

المحراب.

جالبة : صدقت. إني لم أشاهده لسبعة

مضت.

أبسال : لسبعة مضت!! أكنْتِ ترقبيننا؟

جالبة : **(تدور حول أبسال)**

أراك خائفا!

مما تخاف؟

ماذا يخيف من رقابة قد كنت عنها

لاهيا؟

وما يضير في رقابة يحتاجها

أماننا؟

**سلامان** : أمانكم؟!!

أيتها المرأة! من الذين أرسلوكِ؟

من يختفي خلف الشراع؟

وما تقول أحرفُ الرسالة؟

**جالبة** : **(بدهشة وفرح)**

المرأة!! امرأةً تدعوني؟

أنا الحياة شاهدة، أنا الهبات

الواعدة،

فأين حيّ؟ أريد أن أراه.

**سلامان** : حتى أرى الرسالة.

جالبة : فإنني الرسالة، (تشير إلى قلبها)

وهاهنا مفاتح الكلام.

أبسال : سلامان صهٍ،

فلسانُك يرديك.

**(مبتعداً عنها)**

ليس عندنا كلام، أما حيّ،

فاليوم ينتهي اعتكافه، يكون بيننا

على الطعام.

سلامان : وباستطاعة الحسناء أن تقول ما

تشاء.

جالبة : حسناء لا امرأة! هذا قول آخر،

أنت بصير بالنسأء.

سلامان : لا تذهبي إلى بعيد، فالذي أقول

ليس يخدش الحياء.

أبسال : أما أنا، فاللسان معتقل،

حتى يريد الله أن يفكّ من عقاله.

**(يقوم، ويتجه إلى حجر بعيد نسبيا، فيجلس عليه)**

**سلامان** : لكن، لتدرك السيدة ..

**جالبة** : **(تتلفت – تدْهش)**

**جالبة** : السيدة!! من تعنى؟ أنا؟!

أكمل حديثك أيها الشيخ الأريب.

**سلامان** : أقول: ينبغي أن تعرفي ..

**جالبة** : لقد عرفتُ أن حيّاً في اعتكاف،

وأن الاعتكاف ينتهي مع الظهيرة،

وأن هذا السمكَ الشهيّ،

غذاءُ جسمه القوىّ،

وأزيدك خبراً، أنني أعشقهما:

السمك وآكله .. والباقي معروف.

**سلامان** : **(وكأنه لم يسمع ولم يفهم)**

ينبغي أن تعرفي سيدتي ..

أن ابن يقظان حتى اليوم لم يشاهد

امرأة،

ولا عرفْ،

ماذا عليه أن يقول إذ يراها،

وأن قلبه يناظر السماء،

وليس فيه من مكان، تحلّه

النساء.

**جالبة** : فهمتُ عنك أيها الشيخ الحريص.

**سلامان** : حريص!!

**جالبة** : هذا واضح.

تعرف كيف تكنى عن غرضك،

وتقود خطاي إلى دربك،

وتنصّب من نفسك هدفا.

**سلامان** : **(مستنجدا متجها نحو أبسال)**

هل فُهِمْتُ بهذا يا أبسال؟

**(أبسال يشير مستنكراً متأففاً)**

**جالبة** : قد أفصح عنك لسانُ الحال.

هذا واضح.

أما أبسال فلزم الصمت،
وصديقك حيّ قد وجد خلاصاً في
العزلة،
لا يعرف ما المرأة!!

**سلامان** : واضحْ، فعلاً،
فإلى هذا أحسنتِ القول.

**جالبة** : مقصدك الواضح لا يخفى، لم يبق
إلاّ أنت وأنا.

**سلامان** : واضح جداً.

**جالبة** : فأنا امرأة، والشيخ يثرثر منذ
قدمت،
ولم يتوحدّ في المحراب ..
ويعرف ماذا يصنع بالمرأة، حين
تصرّ على اللقيا.

**سلامان** : لا، ليس القصد، أرفض بوضوح.

**(أبسال يرتجف انفعالاً، يقوم عن الحجر، يجلس على آخر، يعطيهما ظهره اشمئزازاً - الدهشة الجازعة المتوترة على وجه سلامان - جالبة تقترب منه أكثر)**

**جالبة** : ماذا ترفض؟ لم أعرض شيئاً
حتى ترفضه ..
والآن تأمّل!!
**(تشير إلى أبسال)**
صاحبك يُطمئِن عزلتنا، قد ولاّنا
ظهره،
لكنى لم أجعل هدفي شيخاً مثلك،
أنا حصة حيّ بن اليقظان ..
فإذا ما طالت صحبتنا ومللتُ هواه
أو ملَّ هواي، فأنت على الخاطر
أما الآن فساعدني كي أصل إليه،
لن أنسى لك هذا الفضل.

سلامان : سيدتي لم أقصد، والله شهيد،

جالبة : (بتهكم)

يا عبد الواقع!!

سلامان : عبد الواقع!! أنا عبد الله وحسب.

وتجسسك على قولي، عمل لا

يوصف بالنبل.

كان حوارا ما بين صديق وصديق

أما أنتِ فما التبرير؟

جالبة : يبرره الواقع.

سلامان : الواقع يتدنى حتى يتضمّخ بالأقذار

الواقع يتسامى حتى يتوهج بالأنوار

جالبة : ما قصدك، أوضح لي؟

هل قصدك يعدوني؟

سلامان : قصدي أن صديقي حيا لن يلتفت

إليك،

لن يعرف من أنت،

لا يعرف ما المرأة.

جالبة : بل يدركنى في أعمق أعماقه.

كوليد يلتقم الحلمة دون معلم.

وأنك فوراً إذ ألقاه،

ستشاهد كيف يذوب الثلج ويتبخر.

هل يحتاج الخشب لجسّ النار؟

سلامان : عجبا ..

لا تيأس أنثى من رجل ..

جالبة : كلا ..

ولا رجل ييأس، إن كان جديراً

بالإقبال،

دعنا نتسلى بحكاية.

سلامان : **(يتلفت بين اليأس والحذر)**

هيا قولى!

اليوم حكايانا كثرت ..

وأرى الأقوال تمهّد للأفعال ..

ما اسمك يا أمة الله؟

جالبة : اسمي جالبة

هذي ثاني مرة، لكنك تنسى.

سلامان : جالبة! لم أسمع هذا الاسم!

جالبة للخير !! جالبة للشر !!

جالبة : هذا شأنك أنت ..

في البحر تصادف دُرّا وقواقع،

في الجو يطير النسر وشرّ الذرّ.

سلامان : في أيهما أنتِ؟

جالبة : من يدرى؟

قد كنت تُحدثُ عن قدَرِ الإنسان

شاهدني أبسط ما أضمرت،

وسأروى من أخبار الغير، ما

يهديك لدرب الخير.

فخذ حكايتي لتطمئن.

سلامان : **(يتوجه إلى حجر ويجلس)**

سأطمئن للحجر،

لكنما العجب

أن تمرفي بالخير في حكاية

تقولها النساء.

**جالبة** : ولغزها امرأة.

**سلامان** : محال!!

**جالبة** : بل المحال أن تسلّم النساء

بالمحال،

وفى حكايتي خلاصة المقال.

فلتستمع ..

**(تبدأ في قص الحكاية، بين الرواية والتمثيل الحركي الراقص مستفيدة من المقاعد وقطع النسيج في تشكيل المنظر)**

: حكايتي من بابل القديمة ..

تقول إن "جلجاميش" الباهرَ

العملاق،

وكان كلٌّ من بقى من الطوفان،
قد صار سيدا للعالم القديم ..
والسيد الوحيد لا يرده عن
الطغيان شئ.
لكنه سمع
من بعد عُمْرٍ قد ترامى في
الصَّخب،
وفى المجون،
بأن شخصاً ثانياً سيزحم الطريق.
لذلك اكتأب، وشاكه القلق،
لّما علمْ ..
بأن "انجيدو" يزيد في الجمال،
وعُدّة القتال،
وأنه مجرد من صحبة البشر؛
فإنه مع الظباء إن أكل.
وإن لعب ..

جرى مع الآساد والنمور.
وإن وثب ..
يسابق الأسماك والحيتان،
وبيته الأحراش والكهوف.

***

تفكر العملاق "جلجاميش" في
أمر "انجيدو"،
فحصّن الأكتاف والدماغ ..
وصار قلعة من كثرة السلاح ..
لكنه من تحت أكداس الحديد ..
لم يطمئن للمصير!!
لم يأمن الغفلة والخداع،
فبثَّ صيادين في الطريق،
شباكهم تُطاول السحاب في
السماء.

***

أما فتى الأحراش "انجيدو"،
وصدره لبد الأسد،
وساقه من ساق فيل،
ورأسه من رأس ثور،
قد كان في المحال أن يحاط
بالشباك من صياد.
وزاد همّ "جلجاميش" واشتط في
التفكير،
لكنه اهتدى ..
إلى شباك لا تصدّها الأيادي
والرؤوس،
بل تستدير نحوها،
وتمزج الخوار بالضراعة،
وفى الشباك ترتمي، وتطلب
الشفاعة !!

****

**(جالية تأخذ سمت الكاهنة الوثنية، وترقص رقصة المعبد الوثني)**

: الكاهنة "أُخُوتي" كانت شبكة

صياد ماهر،

الكاهنة "أُخُوتي" وقفت قرب

الماء ،

الكاهنة "أُخُوتي" لمحت "انجيدو"

جاء ليشرب،

الكاهنة "أُخُوتي" كشفت وجها،

ساقا، نحرا،

الكاهنة "أُخُوتي" صارت عودا

من فضة، في صفحة ماءٍ يتلألأ!!

**سلامان** : **(مقاطعا)**

.. وأنجيدو؟

**جالبة** : **(مستمرة)**

عُرْى "أُخُوتي" رَقَّصَ ألواناً،

عطر "أُخُوتي" وَقَّع ألحاناً،
هَمس "أُخُوتي" فجَّرَ بركاناً،

**سلامان** : وانجيدو؟

**جالبة** : انجيدو!

ما أروع أنجيدو!!
أخذ المرأة سبعَ ليالْ،
فجَّرَ كلَّ الأحزان الصدئة،
وتحّسس شوق الإنسان ..
تحت رداء الوحشية.
وسعى في التوّ لجلجاميش.

**سلامان** : **(قافزاً من جلسته)**
ليحاربه؟!

**جالبة** : ليصافيه.

اتخذ صديقاً من كان له بالأمس
عدوا، فبنى مجداً، وتحدّى القهر،
وصارا بعض عظات الدهر،

والفضل لشبكة رمش العين.

**(يدركها الإرهاق – تجلس وهى تلهث)**

**سلامان** : جالبةٌ: أخطأت القصدَ، فأنجيدو

لم يكُ إنسانْ،

كان الأدنى للوحشية،

رفعته غرائزُه درجة.

أما حيٌّ، فالأمر عجيب:

قد حطَّم طين الإنسان، ليلحق

بالنور،

وتجاوز مجرى الماء ليسبح في

أعماق النبع،

فهل تردّه عبارة زريّة ..

تجترها شفاهُكُ الشقية؟

**جالبة** : أنت سلامان، وأنا جالبة

لا آمل أن تفهم

يا طين البحر المالح ..

لكنى أدرك ما تخفى ..
دعني استجلي وجه الإنسان،
خلف قناع الزيف لوجه ملاك
تتمناه.
لا تدهش حين تراه يناغيني،
وبألف لسان.
قطرات الطلّ تسوق الطير إلى
الأعشاش.
والرجل ينادى الدفء بجوف الليل
وإن فاضت عيناه نعاسْ.
الرجل رجل!!
أفهمت الآن؟
دعني أذهب.
**(تتحرك نحو رأس الطريق، ثم تميل ناحية الكوخ)**
**سلامان** : تمهلي يا جالبة الأحزان. تمهلي.
أبسال .. أدركني

النار سترعى في الأدغال، لن

يوقفها شئ

هل هذا وقت تأمل؟!

**أبسال** : قد سبق القول:

لا راحة إلاَ في جريان الحكم.

**سلامان** : سألاحقها ..

**(ينطلق وراء جالبة، ويختفي خلفها في الدغل)**

**أبسال** : ستلاحق قدرك لا تعدوه!

**(أبسال يغادر المقعد، يتطلع إلى بعيد – ينضد الأسماك فوق طبق بدائي كبير)**

النذر توالى

هذى المرأة .. ليست ما كنا

نتأمل،

هذى المرأة .. جالبة. قالت؟!

ماذا جلبت؟!

ماذا تعنى المرأة بين رجال؟

أنا لست أراها، لكن من يدرى،
صدق سلامان: المرأة بين رجال..
شرر يتطاير في الأدغال،
سأطفئ النيران بالوضوء ..
واحتمى بهدأة الصلاة.

**(يتحرك حتى يختفي خلف الحوض الكبير، وهو يشمر عن ساعديه استعداداً للوضوء. في نفس اللحظة يظهر ثلاثة رجال: أحدهم عجوز فوق الثمانين، والثاني شاب بملابس الدراويش المرقعة، والثالث في سن الكهولة، يبدو عليهم إعياء الرحلة) (يتحلقون حول الطعام)**

**ابن سينا** : بشرى لقدوم أوّله ماء وطعامْ.

**السهروردي** : جئنا لوليمة أفكارٍ
لم نطمع في حشو المعدة.

**ابن سينا** : لكنْ .. لا بأس.
هل ترفض أن تنـــزل ضيفاً؟

**ابن طفيل** : بل طيفاً جئت لاستجلي ..
وجهاً من جملة أفكاري ..
لا ضيف طعام.

**السهروردي** : أفكارك وحدك؟ خذ حذْرَك؟!
فالحقّ له عين ولسان،
والرجل سيحضر في الموعد،
وتلاقينا ثمرة تدبير،

**ابن سينا** : يا سهروردي لم تَعْدُ الصدق
لا تغضب يا بن طفيل.
صاحبنا حي حاصل أفكارٍ
وجهودٍ شاركنا فيها،
وسنشهد حالاً وجهته ..
ونعاين موقعه منا.
هل جَسَّدَ فكرى.

**السهروردي** : أو فكرى!

**ابن طفيل** : أو فكرى!

فلماذا فكرك يا بن سناء

**ابن سينا** : محتملٌ، أو صار مزيجاً!

محتمل أيضاً.

**السهروردي** : لا يصلح إنسانُ التلفيق،

لابد وأن يحمل وجها

**ابن سينا** : الأمر يفوَّض للرؤية،

فتكون الفيصل والتعقيب،

هذا أفضل.

يفترض بأن نخفى الغاية

من رحلتنا، حتى يتصرف وفق

هواه ..

ونراه على قدر سجاياه.

**ابن طفيل** : فليفعل، إني صاحبهُ

أشهر من ألّفه ..

**السهروردي** : مهلا، وتريث يا بن طفيل،

لا تسرع فيما أجلناه،

توصينا بالصبر وتنسى.

**ابن سينا** : لا تعنف بالشيخ. ترفق!

**ابن طفيل** : ما تعنى "شيخ" من قولك؟

هل تعنى ميلاً للتخريف؟

لكنى قطعاً ما جدفت.

**ابن سينا** : حاشا لله،

وقارك يا بن طفيل،

لم تحمل كلماتي سوءاً،

لم أقصد ما خمنت.

كنت أريد أقول ..

إنك صاحب قصٍّ وحكايا.

**ابن طفيل** : تعنى: تخريف!!

**ابن سينا** : لم أضمر شيئاً من هذا،

قد علم الله. أما عن زعمك يا بن

طفيل ..

**ابن طفيل** : زعمي !!

**ابن سينا** : ظنّك !!

**ابن طفيل** : ظنيٍّ !!

**ابن سينا** : قولك إن ابن اليقظان

سيكون كما شاءت كلماتُك ..

**السهروردي** : لا أحد يشاء

سبحان مُشَـــيِّئِ كلِّ الأشياء.

**ابن سينا** : لا ضير بأنِي صاحب سبق،

هل تنكر ذلك؟

**ابن طفيل** : لا أنكر ..

: أما سبقي فهو الأكبر،

**السهروردي** : عدنا للقصّ، وللتحريف،

دعنا نشهد، ثم نناقش. نتأمّل،

قد قال الشيخ.

**ابن سينا** : هذا إنصاف.

**السهروردي** : إنصافك يثرى رحلتنا.

سيناء أبوك وأنت سناه.

مع هذا، إني أتوقع،
- مع علمي أنى آخركم -
أن أجد الرجل كما سطرت.

**ابن طفيل** : كما سطرت؟!
ماذا سطرت ؟!
رددت كلاما من بعدي ..
لم تبدع شيئاً من عندك.

**السهروردي** : ما أبدع أحدٌ إلاّ الله،
وسطورُك لم تبدع شخصا،
بل أحدوثة ..
عن طفل ألقته ظروف في أرض
قفر.

**ابن طفيل** : مهلا، أنا أدرى بكلامي ..
لكن حدثني عن قولك.

**السهروردي** : أسمالي المشهودة تروى ..
أن الإنسان على قولي

أبدا شحاذ!

يشحذ أنفاساً معدودة!

أبدا جوّاب!

أصداءٌ للروح الأعظم، ويكدّ

برجليه ليُلقى ..

بثمالته في بحرِ الروح.

أما هاديه إلى الغاية، فهو

الإشراق.

نفحات وهبات.

ستشاهد ذلك بعد قليل،

جسّده حيّ بن اليقظان

**ابن طفيل** : قل: إن شاء الله.

**السهروردي** : قد شاء، وما قدر كان.

**ابن طفيل** : ما قولك يا ابن سينا؟

**ابن سينا** : لا أجد القول يواتيني.

لكني أومن بالحجة ..

بالعقل يقيس ويستنتج.

**(يشير إلى السهروردي)**

ما بين ابن اليقظان الإشراقي،

يَسْتهدي الروح.

**(يشير إلى ابن طفيل)**

وابن اليقظان المتجرد،

يهجر طينته البشرية ..

ينهض صاحبنا في خَلدى ..

ليجسد قدرات الأفكار.

الرجل قد استهدى عقله؛

فهداه إلى خير الأطوار.

**السهروردي** : **(بازدراء)** : العقل ..

**ابن سينا** : العقل نبي يرشدنا

قد لزمت حجتهُ الأعناق.

**السهروردي** : العقل!!

العقل ضلال،

الفهم محال.

**ابن طفيل** : الآن. قد وضح الفرق.

**ابن سينا** : ابن اليقظان هو البرهان.

**السهروردي** : ستراه على قولي:

إشراقي .. لا يخطئ أبدا.

**ابن سينا** : قانون العقل هو المنهج.

**ابن طفيل** : لا داعي للتكرار،

صمتا ..

أسمع أصواتا لا أدرى من أين

تجئ.

**ابن سينا** : تبقى كلمة ..

**ابن طفيل** : عجلّ، مختصرا، ومبيناً.

**ابن سينا** : قد نشب حوار ومناجاة ..

ما بين ثلاثة أشخاص صنعوا

شخصا.

**ابن طفيل** : بل نشب خلاف وملاحاة،

ابن سينا : نختصر القول ونترفق ..

من بعد قليل سنلاقيه.

أوصينا أن نبدو دوما ..

رأيا واحد ..

قولا واحد.

نتبادل إطراء الأفكار،

ونمجدّ بعضا باستمرار،

حتى نستكشف آفاقاً

نعرف جملتها دون عيان،

ونشاهد من قدر الإنسان،

ما بين البدء وبين ختام.

السهروردي : صمتا!

شخص قادم ..

هيا نمضى، ونراقب عن كثب ..

ويقين.

**(يخرجون، يختبئون خلف الكوخ الخشبى، أبسال قادم يفك تشمير ثيابه حيث كان يتوضأ .. يتملّى المكان وكأنما أحس بوجود أشخاص، ويتلفت، يشرئب، لا يكتشف شيئاً، يتوجه كأنه فى صلاة)**

**أبسال** : الغيم الزاحف بشرى أو إنذار؟
وجزيرتنا لم تشهد غيماً قبل اليوم
وقد أخذت فى خطّ الطول وخط
العرض مكان القلب.
فتساوت فرص الخير، وفرص
الشر،
وتساوى نبض الجسم، وخفق
الروح.
البحر المالح يعزلنا ..
لكن تراب جزيرتنا عنْبر ..
قد أثمر ألوان السكّر.
هل يفسدها البحر المالح ..
أو يحلو بحر لم يُسْبَرْ ؟؟

**(ينظر ناحية الكوخ البعيد)**

يا حيّ ..

قد طال عكوفُك فى المحراب ..

وشواهد تغيير تترى ..

أقبلْ أدركنى. وسلامان ..

قد ولّى فى أعقاب الجمرة ..

إن تطفىء ناره ..

لايجنى غير الإحراق.

**(يعيد التطلع نحو الكوخ البعيد، فلا يجد أحدا)**

: يا ابن اليقظان تيقظ.

البحر يفور ..

وسيلقى جيفاً بالشاطئ.

عزلتنا قد كانت حلماً،

وصلاتى يزحمها خوفٌ،

أتوجس أنى لست وحيد ..

لكنى لا أدرى:

من ينهض خلفى مستورا؟!

من يقبع فى أعماقى مسحوراً؟!

مَلكُ الرحمن أو الشيطان؟
يا حيّ ..
قد تاه سؤالى يتلظّى ..
فامنحنى بَرْدَ جواب،
وجواب سؤالى أن أعرف ..

# الفصل الثانى

## المشهد الأول

## الغليان

**المنظـــر**

**الوقت** : عقب زمان الفصل السابق بقليل

**المكان** : سقيفة مكشوفة من ورائها البحر، يتوسطها **حي**. **"حي"** شاب مفتول الجسم، عارى الكتفين، عليه إزار من جلد الحيوان المزين بريش الطيور، جالس جلسة الدعاء والاستغفار. **جالبة** تتسلل نحوه، لايكاد يشعر بها لاستغراقه فى صلاته الصامتة.

**جالبة** تتسلل من خلفه تحدث بعض الأصوات للفت نظره دون جدوى، تدور حوله مرتين لا يكاد يراها، تقف أمامه وتمسك بيديه، يفطن - أخيراً - إليها، لكنه يظل على جلسته.

بشراى اليوم. هيا ..

حيّ : معذرة .

لا أدرك آفاق الكلمات.

جالبة : لا تعبأ. ويْلى قد ثرثرت ..

لا تعبأ ..

وخلاصة قولى أنك تعرفنى ..

تدركنى.

أوَلسْتَ أشرتَ إلى ذلك؟

حيّ : حقاً أعرف

مخلوقٌ كائن. واجُبه أن يتوّجه

نحو مكوِّنه.

جالبة : **(تتجه نحو حيّ تستنهضه)**

أنذا أتوجّه.

حيّ : سبحان الله. ما هذا القول؟ هذا

تجديف.

جالبة : أنا منك، ألا تعرف؟

حيّ : وأنا من طين،

هل يصنع طينٌ شيئاً؟

فلنبحث فى السبب الأول.

جالبة : طينٌ ينتفض حياة.

حيّ : ينتفض حياة!!

جالبة : أنا امرأة.

حيّ : ماذا يجمع بين المرأة والطين؟

جالبة : اطرح عقلك. لاتتساءل، وتحرك نحوى.

حيّ : إن أطرح عقلى ما يبقى؟

جالبة : **(تجذبه فيقوم معها، وتدور حوله وتجعله يدور حول نفسه)**

يبقى هذا الجسد الفاتن

يبقى مفتاح الحسّ وباب الروح.

يبقى جسر يجعل من"أنت" "أنا"

يجعل من أنتِ هو.

حيّ : أنتِ (**يشير إلى نفسه**)

جالبة : أنتَ

حيّ : أنتِ

جالبة : أنتَ

حيّ : أنت، أنت، لا أجد فروقاً

جالبة : لا تجد فروقاَ؟! يا ويحى. خَيبْتَ

ظنونى ..

لا تجد فروقاً، فتأمل (**تلعب فى شعرها**)

هذا الليل المتلاعب،

وهذا الثغر كمثل الورد،

وهذا النهد ككوز الشهد،

وهذا الكشح، وهذا ..

حيّ : لا أنظر فى أمر المظهر.

أتفكّرُ فى أمر الجوهر .

ما الغاية من ليلك وورودك؟

ما يصنع كوزُ الشهد، وما يعنى؟

جالبة : سأعيد القول: أطرح عقلك،

لا تسأل وتحسس جسدك: كيف

يشيع الخَدَر،

ويعلو الدفء، ويتنامى عزمك،

وتهون أمور .

حيّ : قد هانت كل أموري حين تغنَّى

القلبُ

بوصْل الروح.

جالبة : وصْلى أحلى!!

حيّ : ليستْ من تجربتي.

جالبة : جرّب .. لن تخسر شيئاً.

حيّ : قد جربت!!

جالبة : امرأة غيري؟ قد زعموا أنك لم

تعرف،

وأمامي قد زيفت، وهذا سبقُ

لسان ..

يكشف سترك.

من سبقتني؟

صرح. لن أشعر بالغيرة

حيّ : سبقتك العبرة.

جالبة : امرأة قلت؟ العبرة؟ اسم لامرأة؟!

ما أغرب هذا الاسم.

حيّ : ما أعذب هذا الاسم.

إني أتوقف عن إصدار الحكم.

شئ لا أعرفه لا أحكم فيه،

لكنى أتوجّس.

جالبة : ولماذا تتوجس؟

حيّ : كيف وصلتِ إليّ؟

جالبة : ها أنت تحاور؛ فترد سؤالاً

بسؤال.

حيّ : وسؤالي كان الباب لأن أعرف !

جالبة : إلاّ المرأة.

إن تسألها تفقدها،

فتأمل، ثم تحمّل،

لا تتمهل

اهجم، لا تُلجم

إرْخِ عنان المهر الأجرد،

واغنم حتى تسأم،

فأجدِّدُ ناراً في الموقد،

سأذيقك دفء الشمس بعزّ البرد،

وتنالُ رضاب الشهد،

وسيعلو قدرُك حين يجوز المهر

حدود الشوط.

هيا ..

لا تفسد متعة إقبالي ..

غازلني ..

أنت الذكر وهذا الدور عليك.

غازل .. هيا ..

حيّ : ماذا أغزل؟

جالبة : لا تغزل، بل غازل!

حيّ : يا امرأة!

جالبة : ما أحلاها منك .. كررها!

حيّ : يا امرأة

جالبة : هيا أكمل ها أنت تطيع، ردّد
كلماتي ..
قبلني.

حيّ : **(يردد)** قبلني !!

جالبة : لا بل تفعلها.

حيّ : ماذا أفعل؟

جالبة : قبِّل

حيّ : حين تولى أبسال تعليمي ..
ما علمني كيف أقبّل.

جالبة : أبسال؟ مَن أبسالٌ؟ آه ..
ذاك الرجل الصامت!!

صاحبك الآخر خير منه.

حيّ : علمني أبسال رموز القول.

جالبة : هل يحتاج القول إلى تعليم؟

الفعل هو الفن الأكبر.

إن تفعل تحيا ..

خذها عني ..

قد عشت طويلاً في قصر فاخر،

لم أفعل شيئاً

كنت أعيش بأعصاب لساني

فأردد طول اليوم:

مولاي، مولاتي ..

عمتَ صباحاً، عمتِ مساءً.

ما أروع هذا الرأي ..

ما أجمل هذا الشَّعْر

ما أظرف هذا القول ..

إلى آخر ما يرضيهم ..

وأنال عطايا ومراتب ..

وأعيش نعيماً لم ..

**حيّ** : **(مقاطعاً)**

بل يُقطع

**جالبة** : من أدراك؟

هل تعرف شيئاً من سري؟

قد أنكرت بأن امرأة سبقتني .

من أبسال؟

والآخر أين تخفى بعد بلوغي باب

الخصّ؟

هل ذهب يعسس لك؟

هل أبسال قدم من الشط الآخر ..

يحمل أخباراً وأكاذيب؟

**حيّ** : كُفِّى نزواتك عن أبسال.

أبسال مرآة ضميري.

**جالبة** : مرحى .. تتكلم عن نزوة!!

هيا. هيا ..

مارس نزواتك والعب بي.

حيّ : قد مارست!!

جالبة : امرأة قبلي؟!

حيّ : سبحان الله ..

لا يدرك عقلُك غير "امرأة

غيري"!!

وكأنّ فؤادك قوقعةٌ ..

تتلوّى بَدْءا ونهايه!!

جالبة : ما شأنك أنت بعقل المرأة؟

اكشف عن ذاتك أخبرني.

تذكر أبسال بكل جلال،

ماذا علمك الصنمُ الأبكم؟

حيّ : علمني كيف أنظم فكرى في كلمات

جالبة : القول خيانة ..

والفعل هو الفوز الأكبر.

قد كنتُ ..

حيَ : **(مقاطعاً، مكملاً)**

تعيشين بأعصاب لسانك،

تلوكين كلاماً لا ينفع ..

مولاتي، مولاي، إلى الآخر،

هذا عبث وتفاهة.

وظنوني أن الفعل لدَيكِ كمثل

القول،

يتناطح عبثاً وتفاهة.

جالبة : بل كان عظيماً كجمالي ..

ها أنت تثور ..

أتحدى أن تفعل مثلي ..

انقلب الزورق، فركبت الزورق

مقلوباً،

ورقصت على القاع الأعلى،

والناس تصيح،

والبحر يفور بكأس الموت.

هل تجسر أن تفعل هذا؟

**حيّ** : **(بتواضع ومسكنة)**

لا أجسر قطعاً.

قد عشت وحيداً في الغابة،

وأنا طفل أرنو للمهد،

كفلتني الظبية أعواماً حتى ماتت،

فانبعث سؤال عن كُنْه الموت.

وسؤال قاد لألف سؤال ..

**جالبة** : أولها أنك إنسانٌ، ما أنت بظبي.

**حيّ** : أحسنت القول .. وآخرها؟

**جالبة** : أن الإنسان اثنان: رجلٌ وأمرأةٌ.

**حيّ** : أخطأتِ الظن!!

فآخرها أنّ الإنسان، يتدرج من

قوقعة الذات،

حتى يحيا في الملكوت.

أن الإنسان وقد خدعته قواه،

واسترخى الحسّ كأن العمر بغير تناه،

واقترب الوعد بِنَيْلِ مناه،

واغتر فظن بأن الخُلدَ رهينُ رؤاه

فاجأه أنْ ..

**جالبة** : للقلب هواه!

**حيّ** : للكون إله!

**جالبة** : واللذة أن يرتع بدماه.

**حيّ** : الراحة أن يرقب مولاه.

فإذا ما جاء الموت.

**جالبة** : أحس بروعة من نال من الدنيا أكبر مغنم.

**حيّ** : أحس بأن القطرة عادت للبحر الأعظم.

**جالبة** : هب قولكَ حق.

ما جدوى أن يرضى لحظة ..
بشقاء العمر؟!
هيا يا حيّ كفاك لجاج.
اهجم، واغنم.

حيّ : لا أهجم في ظلمة

جالبة : **(تشير إلى محاسنها)**
هذا النور، وهذا الحُسنُ، فكيف
تراه؟!

حيّ : الظلمة أن افتقد الغاية في عملي.
جدلا أني: قبّلتُ الورد، ونلت
الشهد ..
على قولك ..
هل أرتع أبد الدهر بغير خمول؟
الملل ترّصد للإحساس،
والعقل سراج يتوهج.
يوماً أعجبت بزهرة،

فإذا الزهرة تذبل، وتعود تراب.

يوماً أعجبني سمك كالفضة ..

قد جمّعه صوتُ خرير النبع ..

لم يمض نصفُ نهار

حتى كان السمك تبدّل ..

**جالبة** : قد ذبل هو الآخر؟

**حيّ** : بل راح يمارس لذة أن يَأكل،

لم يتساءل عن نوع الأكل، وما الغاية.

لم يعرف سمك النبع معاني البحر السمكية،

فالتقم كبار القوم صغاره،

وبعد قليل كان الآكل مأكولاً،

**(صمت)**

العقل سراج يتوهج.

إني أتأمل. وسأبقى أتأمل.

جالبة : فتأمل شكلي، تأمل وضعي، تأمل
شوقي
نحو لقاك.
جَرِّدْ منى فكرة أنى نقصٌ،
وأنك مثلى ينقص معناك، حين
تعيش وحيداً.
جردني من ثوبي ..
ثم تجرد من ثوبك،
وأخيراً جرّد منا فكرة أن الكامل
يبدأ من اثنين
حيّ : معاذ الله ..
الكامل واحدُ، بَدْءاً ونهاية.
وأنا نقص، يستهدى من
نقصه ..
أن يدرك معنى الكامل لا يلحقه
النقص.

جالبة : لا جدوى ..

سنظل ندور ..

إنسان أعمى أنت!!

أعمى لا يستأهل شفقة.

فتلقى وعدك ..

حيّ : ما عنه فكاك.

إني انتظر الوعد.

سبحان مقدر أقداري.

جالبة : حقدي الأسود

حيّ : حقدك !!

ما معنى الحقد؟

جالبة : وهواني بين يديك!!

أنثى جُرحت

لا يغسل عاري غير الدم

حيّ : لا أعرف معنى العار.

جالبة : لا يغسل ذلي غير السمّ

حيّ : لا أعرف معنى القتل.

جالبة : رجل الغابة، يا للحسرة!!

لا يعرف كيف يكون القتل!!

هذى نكسة.

حيّ : أعرف سبعاً قتل غزالاً،

ورأيت الأفعى تنهش فأراً.

لكن الإنسان!!

لم أشهد إنساناً يقتل.

ولماذا يفعل؟

ما الغاية في أن يقتل، والعالم

متسع للكل؟

جالبة : لم تشهد إنساناً أصلاً.

لكنْ .. حين تشاهد ..

سترى أنياباً تخشاها الأفعى،

سترى ظُفراً تتحاشاه نيوب

الليث ..

وقرن التيس ..

هل تعرف قرن التيس؟

حيّ : الوعل الجبلي .. أعرفه !

جالبة : كلا .. بَشَرِيٌّ ..

لا تجد نظيراً في الحيوان يشابهه.

أو يرضى أن يفعل فعله.

حيّ : تيس بشرى !! ماذا يفعل؟

جالبة : يا وعدى .. كيف أقول؟

لا جدوى منك ..

لا يفعل شيئاً ..

أربكت ضميري .. شوَشت فؤادي.

لكن ..

لا أدرى .. هل .. إني ..

عاشقة أو حاقدة ..

لا أدرى ..

حيّ : لا أعرف ما يعنى قولك

كلماتُ الحقد وأشباهه؛ لا تعني
شيئاً في عقلي .. أما العشق؛
فالظلمة تعشق نور البدر ..
والبذرة تعشق دفء الأرض ..
والنحلة تعشق لون الزهر.
والديمة تعشق مجرى النهر ..
العشق يحرك هذا الكون ..

**جالبة** : فلماذا تجمد أنت؟

**حيّ** : إني أتحرك، أنا حيّ، أتحرك ..
تتحرك أعماقي ..
يتحرك وجداني ..
فمتى تصلين إلى الأعماق؟

**جالبة** : تتأبّى!!
تتصور نفسك أستاذا، وملاكاً؟!
ستعود إلى أصلك من طين ..
ستراني بعد قليل .. وهذا الظفر

ينقّب

في الأحشاء ..

آمرك تطيع ..

وأعيدك حتماً للمجهول ..

من حيث قدمت.

ستراني بعد قليل.

ستراني.

**حيّ** : انصرفي يا امرأة

**جالبة** : اسمي جالبة. أنسيت؟

**حيّ** : لا يعنيني الاسم. قد شمْتُك شخصاً، فانصرفي.

لم يتّبدل شئ، وسأذكر ألاّ أذكر شيئاً مما كان.

**جالبة** : بل تفضحني .. تذكر لصحابك أني قد ألححت عليك.

**حيّ** : لم يحدث.

**جالبة** : كذاب!

**حيّ** : لم أكذب .. سأجاهد في زرع
النسيان.

**جالبة** : لكنى أتذكر ..
وسأبقى ذاكرة حتى ينفجر الحقد.
ستراني بعد قليل ..
وستندم.

# المشهد الثانى

## الحادثــة

**المنظـــر**

نفس المنظر الأول، **أبسال** يتشاغل ببعض الأشياء، الفلاسفة الثلاثة: ابن سينا، وابن طفيل، والسهروردي، يرقبونه خلسة، يتهامسون ويتبادلون الإشارات رغبة في ألاّ ينـــزعج من قدومهم. **أبسال** يحمل طبق السمك المشوي، ويحادث نفسه.

**أبسال** : حان الموعد

الآن أنضد أسماكي

حيٌّ قادم،

وسلامان؟ لا أدرى.

سوف يعود

أما المرأة .. لغز المجهول،

آمل أن ترحل.

هذى السمكة أطيب،

يأكلها حيٌّ بعد صيام طال، وبعد

عكوف،

قد أرهق منه الجسد فصفت

الروح.

بعد قليل سوف يجئ.

**ابن سينا** : (يتقدم قليلاً من جانب)

سلام الله يا أنس البرية

**أبسال** : قد جئت .. عليك سلام

من أنت؟

من أنتم؟

**ابن طفيل** : ضيف ..

**السهروردي** : ضيف مشتاق ..

**أبسال** : على أضيافنا طيب السلام.

نزلتم مرحباً، أهلاً، وسهلاً،

وعذراً للخشونة في المقام.

**ابن طفيل** : عبرنا البحر من بعد الفيافي.

**أبسال** : في أي سفين أقبلتم؟

**ابن طفيل** : حملتنا أمواج المغرب

لنراقب زرعاً أضمرناه.

**أبسال** : وماذا قد زرعتم في الجزيرة؟

**ابن طفيل** : زرعنا الفكر ..

**ابن سينا** : مفترضين أمراً.

**أبسال** : مفترضين شخصاً.

**السهروردي** : أراك فهمت!!

**أبسال** : كيف يغيب فهمي، وأبسال مهمّ

في الحكاية!

**السهروردي** : إذن، أبسال أنت؟

**أبسال** : أراك فهمت!!

**ابن طفيل** : دعني أبسط قولاً لا يغضبك.

**ابن سينا** : وأين سلامان؟

هَبْنا فكرة.

**ابن طفيل** : أولا تتذكرُ أحبابك، وتحاورهم،
وتغيّرهم مرآة خيالك؟

**ابن سينا** : أنا شخصياً ..

**أبسال** : قد خمّنت ..

**ابن طفيل** : (مشيراً إليه)
ابن سينا، رائدُنا للرؤية.

**ابن سينا** : أنا شخصياً، يحدثُ لي أكثر من
مرّة، أن أشغل فكرى في أمر
يستعصي فيه الحلّ. ثم أنام.
لكن ستار العين إذا أسدل،
يرتفع ستار القلب،
فيكون الفيض،

**أبسال** : بشرني، كيف يكون؟

**السهروردي** : دعني أدلى بحديث مجرب:
جرّد قلبك من عشق الدنيا،

**أبسال** : يا شيخي! اغفر لي ذنبي
قد أضمرت تجاهك أمراً

**السهروردي** : أعرفه، صادفني مرات.

**أبسال** : لا يلمس ماهيّة ذاتك.
هو أمر ..

**السهروردي** : أعرفه: ثوبي، نعلي، خرقة
سفري،
ثوب رحيلي عن دنياك،
ثوب شهودي، ثوب فنائي، ثوب
وجودي،

**(يتواجد السهروردي ويسقط من جديد)**

**ابن طفيل** : يا سهروردي ما الخبر؟

**ابن سينا** :.ماذا جرى يا بن الطفيل؟

**ابن طفيل** : قد عاده الإغماء، لما شامَ حافّة
الأفق.
أدركْه يا بن سينا بطبِّك العجب.

**ابن سينا** : لا طبَّ لديّ لهذا الداء؛

فالداء دواء ..

هذا رجلٌ ينكر جسمه،

يُفني نفسه،

يُلجم عقله،

ويفك عقال الروح فيطوى الآماد

بلمحه،

ويعانق جَلَلَ الخطب فيستهدي منه

الفرحة.

أما طبّي،فكما تعرفه يا ابن طفيل..

صحة أبدان

**أبسال** : **(يقلب السهروردي متأثراً)**؛

الشيخ يجود بأنفاسه!!

**ابن طفيل** : الشيخ يزور، وبعد قليل سوف

يعود.

**أبسال** : لم يغفر لي ما أضمرت تجاهه.

**ابن سينا** : لا طبَّ لدىَ لهذا الداء؛

فالداء دواء ..

هذا رجلٌ ينكر جسمه،

يُفنى نفسه،

يُلجم عقله،

ويفك عقال الروح فيطوى الآماد

بلمحه،

ويعانق جَللَ الخطب فيستهدي منه

الفرحة.

أما طبّي،فكما تعرفه يا ابن طفيل..

صحة أبدان

**أبسال** : **(يقلب السهروردي متأثراً)**؛

الشيخ يجود بأنفاسه!!

**ابن طفيل** : الشيخ يزور، وبعد قليل سوف

يعود.

**أبسال** : لم يغفر لي ما أضمرت تجاهه.

(السهروردي ينهض قليلاً مع يد أبسال، ثم يستند إلى الحجر)

**السهروردي** : لن تحظي مني بالغفران،

لا أتملى الأرض واصطاد اللقطة،

**أبسال** : لم أفهم. هذى المرة لم أفهم.

**ابن سينا** : الأمر بسيط.

الشيخ يردّ المنحة من إنسان ..

ويرحب بعطايا الرحمن ..

فإذا ما قبل التوبة منك،

اقتطف الثمرة والإحسان،

فاطلب إعذارك من ربك، يغمرْك الجود.

**أبسال** : يا ربى ..

قد أضمرتُ الهزْءَ بهذا الشخص.

قد قلت: لماذا يزري

النفس بمسخ الشكل؟

| | |
|---|---|
| | قد خُنت إلهي وضميري في هذا |
| | القول. |
| **ابن سينا** | : هذا لَممٌ تمحوه التوبة، |
| | قد دفع الشيخ إليك ثواب الذنب، |
| **أبسال** | : سأنهض أقرى الضيف. |
| **ابن سينا** | : شكراً وقرانا طرح سؤال. |
| | **(بتردد)** |
| | فلعلك تعرف. |
| | **(يصمت)** |
| **ابن طفيل** | : قد جئنا .. تدرى ما نبغي؟ |
| **أبسال** | : قد جئتم. هذى واحدة، |
| | أما النية .. |
| | فحسابُ النية عند الله. |
| **ابن طفيل** | : جئنا لنخاطب حيّ بن اليقظان. |
| | النّية معلنةٌ، وبحمد الله سلام. |
| **أبسال** | : هل تحسب أنى أتطفل، |

لو أسألُ ما هدف اللقيا؟

**ابن سينا** : البصمة عنوان للشخص، والفكرة
مرآة للعقل،
وللمقام عادة مقال.

**ابن طفيل** : **(مشيراً إلى السهروردي المستند إلى الحجر)**
هذا تراه

**أبسال** : السهروردي؟

**ابن طفيل** : صورة لشخصه في فعله ..
أمامك الدليل،
إذ يقهر الجثمان بالصيام،
وينتشي بالدمع في المحراب،
فترقص الأرواح رقصة النجوم في
المدار،
يشدّها الحنين،
وذكريات العيش في السديم ..
قبل الهبوط.

**أبسال** : وأنت يا بن سينا؟ إنني ألحّ
بالسؤال.
لمّا هممت أن تسّطرَ الحكاية،
ماذا أردتَ من فتىً وحيد،
يهيم في الأحراش لا أنيس،
ويجثم المساءَ في مكانس الظباء؟

**ابن سينا** : ذكرتني يا صاحبي ..
للهِ دَرُّ الدهر ما أقساه،
للهِ درُّ قوة الإنسان، وطاقة
التحدي في كيانه الهزيل.
آه ..
قد كنتُ وحدي ليس من صديق،
ولا أنيس غير ذلك اللعين!
قصدتُ بابَ السجن ليس غير!!
**(بعد تفكّر)**
وللأمانة ..

كانت هناك كوّة في جانب الجدار،
تُنال بالنظر.

**أبسال** : سُجنت يا ابن سينا؟
ويل الحجى من الجهالة!!

**ابن طفيل** : هذا جزاء من يحاور السلطان،
يسئُ يوماً ينمحي إحسانُ شهر!!

**ابن سينا** : إحسانُ دهر!!
في سجن همدان، بقلعة في ظاهر
المدينة،
جثمت أرقب المزلاج، أحتسي
مرارة الأرق،
ثم انطلق،
مني الخيال.
وقلت: هأنذا وحيد ..
يغتالني القلق،
وتفتك الظنون بالفكرَ،

فهل تبدّد الأمل؟
ناديتُ في الظلام: يا ضياءَ
العالمين ..
كمثل صرخة النبيِّ من مَعيِّ
الحوت.
فانطلقت شرارة من ظلمة المحال،
وكان حيٌّ رحلتي إلى الحياة،
تحوطه على المدى عناية الإله.

**أبسال** : يا ابن طفيل أنت أشهر الصحاب،
وتعرف الأسرار بين البدء والختام

**ابن طفيل** : استغفر الإله، هذا علمه، وإنني
بشر،

**ابن سينا** : الفيلسوف عيشه سؤال،
أما حياته فرحلة الجواب.
والآن .. أين حيٌّ، طال الانتظار؟

**أبسال** : معذرة يا سيدي ..

سئمت كثرة السؤال والجواب،
قد جُنَّ شوقي لاكتشاف عالم
البشر،

**ابن طفيل** : هذا جواب ما أردت يا أبسال،
قد قلته بلا عناء!!

**أبسال** : يا ابن الطفيل، ما فهمت!!

**ابن طفيل** : إذن، فدعني أشرح المراد.

**أبسال** : أعطاك الله لسان الصدق.

**ابن طفيل** : الوحدة قدر ابن اليقظان. تذكر
ذلك؟

**أبسال** : أذكر طبعاً .

**ابن طفيل** : ألقته الأم بكفِّ اليمِّ. تذكر ذلك؟

**أبسال** : أذكر طبعاً.

**ابن طفيل** : ألقاه الموج بحضن المرج. تذكر
ذلك؟

**أبسال** : أذكر طبعاً،

وبكاء الطفل بجنح الليل،
وحنين الظبية بعد الويل،

**ابن طفيل** : حقاً تذكر ..
جاءت بالشهد ودفء المهد،
ولأنك تذكر كيف تدَّرب فيه الحسّ،
وكيف تكوَّن فيه العقل،

**السهروردي** : **(ناهضاً من إغماءته)**
انفتح الباب، وهبَّت عاصفة
الأشجان.
للحس مكان.
للعقل مكان.
أما المطلق،
فسيدرك حتما بالوجدان،
بالروح تنادى دون لسان.

**ابن طفيل** : لكن ابن اليقظان

**السهروردي** : كشعاع النور يلامس وَحْل الأرض

ما الخطب؟

**أبسال** : لا خطب بعون الله.

**ابن طفيل** : أهلا يا إنسان.

مرحى بالفطرة ظافرة من غير

كتاب.

**السهروردي** : مرحى بالنور تخلل جرم الطين.

**ابن سينا** : مرحى بالبصر يقود بصيرة.

**حيّ** : شكرا.

لا أدرى ما تعنون،

وليس الوقت مكان سؤال،

ما بال ندائي يشغلكم؟!

بل أين قراهم يا أبسال؟

قدِّم ما عندك من خيرات.

**أبسال** : قد صاد سلامانٌ أسماك.

هل وصل إليك؟

**حيّ** : قد جاء وفى فمه شصٌّ،

فالصائد صيد!!

وتمادى زخم الصيد فلامس أرداني

**أبسال** : واكربي، جالبةٌ، قد أنذرتُه!!

انجيدو .. جالبة،

الوحش استأنس،

الأنس توّحش،

آه يا جالبة الشر!!

أين رأيته؟ كيف رأيته؟

**حيّ** : ما يجدي القول.

قدر مكتوبٌ لا تدرى من أين يجئ.

ما كان ليلقاني وجهه.

كانت ضحكاتٌ والهةٌ تشكو

الحرمان،

والطيف يراوح بمكان بين

الأشجار.

وخليط من أصوات الأرض ..

ما بين فحيح وزئير ..
لن تعدم في لحظات الهمس ..
نقر العصفور ونفح الورد.
والوردة تنبت من أعماق الطين!!

**أبسال** : وجهاد النفس؟

**(يتحرك بتثاقل متحسراً، يقول بعد صمت قليل)**

لا أدرى ..
كان وحيداً مسكينا، لا تلمح فيه
عيوب.
يغفو بحنان تحت الشمس،
ويبجِّلُ أيَّ دليل حياة،
حتى الدودة في عفن، هي روح
قد جسدها الله،
حتى النبتةُ في الأحراش، هي
لون في مرآة الله.

**حيّ** : لا تذهب حسرات نفسُك.

إني أدرك ..
أن الإنسان من النسيان،
وحديث الخلد لدى حواء،
يرسل أصداءً تتردّد،
وتحوم، تدور وتتوثب،
إن وجدت ولجت حتى اليوم.

**(بعد صمت قليل)**

أنساني حزنك أضيافي

**(ينصرف حيّ ناحية الطعام الذي ترك مهملا – أبسال يمضى نحو نهاية الحوض لإحضار إناء الشرب)**

**ابن سينا** : لا تحمل هماً، فقرانا ما نسمع .

**ابن طفيل** : وسنصمت نحن أبا اليقظان، حتى
يتجلى بالبرهان.

**حيّ** : سبحانه. ما أعظم شأنه،
هو مجلي النور.

**السهروردي** : **(ناهضاً قليلا)**

أدركني يا نور الأنوار، ومدبّر كلّ

الدوار.

**حيّ** : ما بال الشيخ حماه الله؟

**السهروردي** : أنا قطرة ماء عالقة بالسحب

ضناها الشوق ..

تستشرف عالمها الأعلى،

وتضيق برؤيا الأرض،

تتعلق آمالي بالموت لأحيا،

أتصاعد، لا أتواجد.

**حيّ** : يا شيخ ترفق وتمهّل،

حتى نتجاذب بعض حديث.

**أبسال** : **(مقبلا ومعه إناء الشرب والخبز والخضر)**

حتى نتناول بعض طعام.

**حيّ** : القلب كصندوق مغلق،

والنفس استودعت الصندوق،

والعقل جماع كنوز ..

مفتاح الكنـــز كلام لسان.

أبسال : هيا للأكل.

حيّ : وليحل القول بخير طعام، وباسم الله.

**(وفى هذه اللحظة يأتي صوت "فاتك" مقتحماً الهدوء، ثم يظهر على الفور - هو شاب عملاق يحمل رمحاً غريب الشكل، ويعلق سيفاً، ويربط رأسه بعصابة حمراء، يلبس سراويل جلدية. لهجته قاسية تناقض كلماته)**

**فاتك** : عفوا. قد جئت بغير دعاء !

**(يتقدم فاتك حتى يتوسطهم، ثم ينكس الرمح حتى يصير فوق الطعام)**

أبسال : هذا طرح البحر جناه سلامان.

لكنْ. من أنت؟

**فاتك** : (مكشرا)

هل تعني حقاً أن تسأل؟

**أبسال** : في أيِّ سفين قد أقبلت؟

هل جئت من الشط الآخر؟

**فاتك** : أكثرت القول، وإن تعجل ..

ينقدح الشر!

**حيّ** : لا تفصح. إن شئت تقدم ..

وانعم بالزاد.

**السهروردي** : **(يقوم مقدماً إليه ما في يده)**

قد طابت نفسي بالإهداء.

**فاتك** : أو تهدى ما ليست تملك؟!

عجبا !! هيا انفضوا ..

أين فتاتي؟

**ابن سينا** : أوَ ثَمَّ فتاة؟

**فاتك** : لستم عميا. لستم حتماً. أين

توارت؟

**ابن طفيل** : لم نر شيئاً.

**فاتك** : صدقتك يا شيخ السوء،

فجبينك هذا المتغضِّن،

عثنونك هذا المتنفج،

يجعل أحداقك خلف ستار.

**ابن سينا** : يا ولدى ..

**فاتك** : سحقا لأبوة ..

لا تدرك مرمى القول.

أتراني ولدا يا هذا؟

أين فتاتي؟

سأشم ثيابكم الرطبة،

وسأعرف كم ثار هواكم،

وسأشرب من كدر دماكم،

**السهروردي** : **(ينهض، يلقى جملته، يرتمي أرضاً)**

هبّت ريحُ الجنة!

**حيّ** : يا هذا .. مغفور ذنبك،

القوم ضيوف،

آذيت الضيف، وهذا الزاد،
لو تجلس كنا نتحدث

**أبسال** : ما أحد فيهم قد شاهد.

**فاتك** : هل أنت زلقت؟
شفّت كلماتك عن قصدي.
التابع محسوب المتبوع.

**أبسال** : جالبة مرت من ساعة.

**فاتك** : هذا إقرار.

**أبسال** : ومضت لا ندرى كم مكثت، في
أي مكان.

**ابن طفيل** : **(هامسا لصاحبيه)**
لا وقت الآن لفلسفة ..

**ابن سينا** : بل حان الوقت!

**فاتك** : وهذا الهمس يضيف دليل،
وسأعرف حالاً ما قد كان.

**(فاتك يتجه نحو حيّ مستدرجا)**

حدثني ..

ماذا فعل رجالك بفتاتي؟

**حيّ** : لم أشهد.

**فاتك** : حتى إن كان.

قد وجب القوْد، وثأري قد نشب

برأسك،

فهمو أضيافك، والجاني لاشكَّ فتاك.

**(يدور حول حيّ، يحاول أن يهدده أو يقيده)**

**(حيّ يقف جامدا لا يدرك معنى ما يحدث)**

**ابن طفيل** : **(معترضا بين حيّ وفاتك)**

اسمع يا ولدى ..

إنك جاوزت الطيش، وإنا

أعذرناك.

ما تبغي من ظلم برئ لم يشهد

شيئا مما كان؟

**فاتك** : بل أجرم بالفعل المرذول،

تشهده الساحة في بيته
فحياتُك يا حيّ ملكي
ثمنا لدماء المغدورة،
**(يتجه نحو حيّ من جديد، ويكمل ...)**
لا تألم من صدق مقالي ..
فالخدمة في ركبي مغنم ..
**(يعود نحو ابن طفيل موضحا)**
ومع الأيام سأخرجه ..
من ربقة ذلٍّ واسترحام،
وسيحمل سيفا يطلقه ..
في ذبح الظلمة كالأغنام ..
**(يعود إلى حيّ، ويخاطبه محرضاً على نبذ حياته السابقة)**
أكتافك لم تخلق لركوع،
أتراها كانت متن جدار؟!
قد جاء خيارُك يا يقظان ..

كن حيا، وتفكر بفؤاد الأحياء ..

إما أن تبسط يدك لقيد،

تتبعني مثل كلاب الصيد.

أو تحمل سيفاً بيمينك،

ضرغاما تحتاز عرينك.

**(فاتك يقدم سيفه لحيّ، فيشيح عنه ويرفض تناوله)**

**ابن طفيل** : يا ولدى ..

غضبك يتجنّى، والرجل برئ.

إن كنت تفتش عن جانٍ، فالكلُّ

جناه !!

دعنا نتعارف بالأسماء.

**فاتك** : اسمي فاتك

**ابن طفيل** : **(متصنعا المزاح)**

اسم أم صفة؟

**فاتك** : بل فعل

السهروردي : فِعْلٌ يبحث عن فاعل ..
مسألة نحوية، تفتك بالكتف،
المتكفّت.

فاتك : لا تعبث،
لا وقت لدىّ لأيّ مزاح،
في التوّ تشاهد صدق القول،
بل صدق الفعل.
من أجلك!
لا تطلق قولا، لا تدرى، يلحقك
أذاه.

ابن سينا : يا ولدى ..

فاتك : **(متأففاً، ممهدا لثورة أكبر)**
يا ولدى .. يا ولدى
قد هان مقامي بلسانك

ابن سينا : **(مستمرا وكأنه لم يقاطع)**
يا ولدى!

لم يخدعك الشيخ،
وحيّ منّا فرع الدّوْح،
إن تطلق فيه لسان الذمّ ..
فقد نالتنا أقذاؤك.

**فاتك** : أتخادع في أمر محسوب؟

**السهروردي** : **(ينهض. يقول. يرتمي)**
أتمارى في قدر مكتوب؟

**فاتك** : **(يزيح السهروردي عن طريقه)**
لا تهرف فيما لا تعرف.

**(يتقدم نحو حيّ - يقدم له سيفه من جديد - ابن سينا وابن طفيل يعترضان طريق فاتك إلى حيّ، يحاولان إبعاده عن السيف المشهر أمامه. أبسال يتسرب ويتواري خلف الحوض ويختفي محتمياً بالضجة والحركة)**

ما قولك حيّ ؟
لا حاجة لي فيهم أبداً.

القوم رماد، وأنا أرضاك لحمل
السيف.

**حيّ** : صدقهم. لا تشطط في القول،
فالحب خيار. والصحبة حكم
الأقدار.
منهم من يصحبني،
منهم من أصحبه،
منهم من أنجبني،
منهم من أنكره.

**فاتك** : قد طال لجاجك يا حيّ.
لا أرغب في طرح الألغاز.
أعجبني جسمك، طلعته ..
فارس فرسان.
لكن دماغك يوقِرُهُ ..
غلُّ الأغلال.

**(ينادى بشدة)**

نّهار!

نّهار : (تابع فاتك – يقفز بسيفه مشمرّا فإذا هو بينهم)

فُديتَ بالمُهَج.

فاتك : (ملتفتاً يبحث عن أبسال بعينيه)

أين الخامس؟ وَضَحَ التدبير!

قد كان هنا!

الويل لمن يخفى قولا،

الوزر أقسّمه فيكم، فالكل جناه.

(لابن طفيل)

كما بشّرت.

نّهار! قيدّ أسرانا يا نّهار.

قد جئنا نبغي سيَّافاً ..

فأصبنا بضعة أحجار.

(نّهار يسوق الأربعة نحو الكوخ – يدخلهم – يغلق عليهم الباب، ثم يقف حارساً عليه)

: أقبل نّهار،

فأمامك عمل لا يهدأ ..

إذ نكشف كل الأسرار.

اعقد للقوم محاكمة ..

تخزى أفكار الأشرار.

**(نهار يقبل، فيلمح الطعام الذي أهمل)**

**نهّار** : أضناني الجوع، ألا نأكل؟!

**فاتك** : ومتى جالبة ستعود؟

**جالبة** : **(وقد ظهرت فجأة)**

أنذا قد عدتُ فتى الفتيان.

**فاتك** : أحسنتِ الحيلة جالبةٌ.

**جالبة** : أحكمت الخدعة يا شيطان.

وغدا تضحكنا بكلام

يكشف ألوان البهتان

**فاتك** : ماذا سوّيت هناك ؟

**جالبة** : الأمر يطول،

لكنى أبدا لا أيأس:

أحيانا تنطلق السمكة
لا تدرك أن الشصّ بسقف الحلق،
فإذا ما رغبت في تغيير الخطّ،
فهنالك تعرف بعد فوات الوقت،
أن القدر بطرف الخيط.

**(تتلفت، ثم تتذكر على الفور)**

: جاريتي!!

هاتوا جاريتي.

إياكم أن تلقى ضرا.

**(تنادى)** : أشجان !!

**(أشجان مقبلة من حيث أقبل نهار من قبل. في أول الكهولة، عليها سمت الشرف رغم منظرها المهمل، عكس جالبة في كل شئ - تدخل وهى تحمل سلتين - يبدو أنها تعرف واجبها إذ تبدأ في إخراج المحتويات، ومن بينها زجاجات فيها شراب ما وأدوات وكئوس)**

**(تتواجهان في صمت)**

**جالبة** : نادني ..

**أشجان** : جا

**جالبة** : إياك .. هذا زمن راح ..

أشجان .. هيا ..

وغدا تعتادين ..

قولي

**(تلتفت لفاتك)**

الويل إذا نطقت اسمي

**(لأشجان)**

نادني

**أشجان** : **(منكسرة)** مولاتي.

**جالبة** : **(بفرح وخيلاء)**

صفّي لي شعري

هات مرآتي وعطوري.

**(جالبة تجلس على مقعد، أشجان تناولها المرآة وتبدأ في تصفيف شعرها – فاتك يتأمل جالبة بشغف، يدور حولها، يداعب شعرها، يلمح الزجاجة فيلتقطها)**

**فاتك** : زينيها أشجان بروعَةْ ..

ففتاتي تعرف مقداري.

في الليل ستحرقنا اللوعةْ ..

جودي بالبعض لنهّار.

والآن .. أنيليني جرعةْ ..

قد طال حنيني للنار.

# الفصل الثالث

## التحولات

### المنظـــر

نفس المنظر مع تعديل طفيف، حيث تتصدر المنضدةُ الكبيرة في وسط المسرح وكأنها منصة محكمة، (مع هذا لن يجلس إليها أحد، بل يتحركون حولها) الأربعة: (ابن سينا وابن طفيل والسهروردي وحيّ بن يقظان) بين واقف وجالس يتهامسون، ويتبادلون المواقع، حيّ يغلب عليه الصمت والتأمل.

**ابن طفيل** : إن شئت بأن تقنع مجنونا ..

لا تظهر قطّ مسايرته،

بل خاطبه مثل العقلاء

يستنفد طاقته الإِصغاء.

**ابن سينا** : **(ضاحكا)**

وتكون جننت!!

آهٍ، لو يمشي بعض الوقت!

لو يسمع بعض الشعر!

تعتدل جميع المستويات.

آهٍ، لو يرسلُ حنجرته ..

ويجاوبُ شيئاً من تطريب ..

تتطامن فيه بذور الشرّ،

ونشهده في خير مزاج.

**السهروردي** : لا أهرف فيما لا أعرف،

لكنّ القوم تغنوا طول الليل،

والخبل يلاحقنا معهم.

**ابن سينا** : ليس خُوارُ السكر غناء،

والعلة قد باتت في الروح.

**ابن طفيل** : الروح !! في أية روح؟

ولماذا تشغل عن أصلٍ برعاية

فرع ؟!

**ابن سينا** : ما الأصل إذن؟

**ابن طفيل** : الأصل بأنا في مأزق،

ويهددنا خطر ماحق،

**(يتطلع نحو حيّ)**

حيّ صامت!!

**حيّ** : الموقف جل عن الأقوال،

لكنْ ما يبهرني حقا:

ماذا يعنى لقيا الأضداد بغير مَعَاد،

في أرض ظلّت شبه خلاء ..

حقبا ودهور؟

يتلاقى الصالح **(يصمت)**

**ابن سينا** : ولماذا الصمت؟

أكمل قولك ..

يتلاقى الصالح والطالح.

**حيّ** : فتّحت عيوني هذا اليوم ..

على ..

**ابن طفيل** : ماذا؟

**حيّ** : من فينا الصالح؟

من فينا الطالح؟

ما العبرة في أنهما يلتقيان؟

**ابن سينا** : الحركة تصنعها الأضداد،

الزمن صناعة ليل جاء بإثر نهار.

**السهروردي** : الزمن صناعة ربّ لايتطامن

للأقمار.

ما قولك يا بن طفيل؟

**ابن طفيل** : الساعة ليست وقت خصام.

**ابن سينا** : ليس خصاما

ما نشهد أذكرني بالخلق الأول
والكون عماء ..
ثم تدبّ الحركة بالأضداد:
الليل يربّت كتف نهار،
والله تعالى خلق الناس ..
وخلق الوسواس الخناس،
ونجوم النحس يقابلها سعد
الإسعاد.

**السهروردي** : إطراء النفس تعالى عنه مقام
الصدق،
إذ تجعلنا خيراً صرفاً ..
والفاتك رمزا للأشرار.
ما قولك يا بن طفيل؟

**ابن سينا** : لم أذكر ذلك، لكنى قلت

**ابن طفيل** : يا قوم! الساعة ليست وقت
خصام ..

الموقف ضنك
والفاتك حجته في السيف.
والمجلس منعقد لنقاش الرأي !!
**(صمت)**
يا حيّ تحدث ..
قد صمت القوم فحدثنا عن أصوب
رأى.
لِم لا نعمل والرأي جميع،
**حيّ** : حتى لو كان.
ورفيقه!! ماذا من أمره؟
ورفيقته!! هل ننساها؟
**ابن طفيل** : هل تعرفها؟
من تلك تكون؟
**حيّ** : لا أدرى .. فالحال تحول،
جاءت إرهاصاً ونذيرا ..
لرجال لا شك تخفوا، جاءوا في

السر بأعقابه.

**ابن طفيل** : ماذا تعنى؟

هل بتنا بغيابة جبٍّ ..

وليس مجال للإنقاذ؟

**السهروردي** : لا تيأس من روح الله.

**حيّ** : هذا فاتك:

الرجل السيف،

إن هرب من ذلّ بلائه، يبق

والسيف ..

**ابن سينا** : وإن تقتله سيبقى السيف يفتش

عن ساعد!

**السهروردي** : لا تيأس من روح الله.

**حيّ** : وخلاصك فردا لا ينجيك ..

وقد يُرديك.

**السهروردي** : الآن نبشّر بالأفراح ..

نَتَنَسَّمُ أرواح الجنّة.

ابن طفيل : يا حيّ. غلَّقْتَ الأبواب.

**(نهّار يقتحم المكان، مدججاً بسلاحه، يلقى عباءته، ثم يعود على الفور كأنه يغادر قاعة، ثم يظهر ثانية في أعقاب فاتك)**

نهّار : بل انفتح ..

باب الكلام.

سيقدح الحديد بالحجر ..

يفجّر الشرر، وينجلي الغبار.

فيشرق النهار.

تجمعوا إلى اليمين.

**(مخاطبا حيا)**

وأنت وحدك الشمال.

لقد خذلت سيدي،

فلتحتمل مذلة القرار.

**(للجميع)**

: انتبهوا .. لا صوت ينبس.

**(يتراجع، ثم يعود خلف فاتك، الذي يدخل مجردا من سلاحه ودرعه)**

**فاتك** : لا تشغل بالك يا نهّار.

لم أصنع عقلي من أوراق:

أتصيّد لفظا، اكتب حاشيةً، أنظم

بيتاً!!

فتفيض الخزنة بالأرزاق !!

ستراني كيف أحاورهم

**نهّار** : فاحمل سيفك.

**فاتك** : لا. ليسوا من أرباب السيف.

وعلى فرضك .. فزئير السبع ..

شبكة آماد ..

لا تقلق.

**(يكون فاتك قد صار في وسط المسرح، بين الأربعة، يشير إليهم بالجلوس)**

يا سادة. إن شئتم.

(يجلس البعض، ويبقى بعض آخر واقفا، مع التبادل أحياناً)

**ابن سينا** : كنا نتحدث قبل مجيئك ..
في حقك أن تعقد جلسة ..
لتحاكمنا.

**فاتك** : **(بعد تفكر)**
يا شيخي لا تعجل بالقول
شاركني مدّ حبال الصبر
ستراني أبحث عن مفقود،
وكلامك سوف يقود إليه.

**ابن طفيل** : هو وضع الغالب والمغلوب!

**فاتك** : جدلا هو ذاك، فما قولك؟

**السهروردي** : حكم وقضاء.

**فاتك** : وعليك الصبر، ها قد عُدنا،
والصبر مرير.
أترى. لو حيّ تابعني، كم كان

الودَّ يصافيكم،

كم كان الخير يواتيكم،

كم كا

**حيّ** : **(مقاطعاً)**

هَوِّنْ في قولك. لا تسرف.

وصحابي لا يغررهم قول.

**ابن سينا** : يا حيّ تداعبك مخاوف.

لا تخشى أن نتخلى عنك.

نحن الأقوى

وصوابُ الرأي يغلُّ السيف.

لن يخدعني.

لن يستهويني ب "يا شيخي" !!

أنا شيخ الرأي،

وشيخ المكر هو الشيطان.

**فاتك** : **(غاضبا، يحاول أن يتمالك نفسه)**

هو ذاك إذن؟

يسطيع سناني أن يفصد عِرْق
الكلمات.
يسطيع غلامي أن ينـــزع هذى
اللهوات.
تسطيع فتاتي أن تفضح كل
النـــزوات.
يا شيخ الرأي .. سأستفتى ..
وسأنسى أن بيدي السيف.

**ابن سينا** : **(بلهجة متحدية)**
لك منى الفتيا!!

**فاتك** : نمّار!

**نمّار** : مولاي، فُدِيت.

**فاتك** : هات المرأة.

**(الجميع يتطلعون ناحية الكوخ، لكن المرأة [أشجان] ستدخل من الناحية المقابلة)**

**حيّ** : **(في جزع، قبل أن تظهر)**

جالبة! لا! جالبة! لا!
جالبة من حمأ مسنون!
لم تلمسها روح الله،

**ابن سينا** : امرأة !!
ماذا تخشى من مرأة؟
أسدل أستار القلب ولا ترها،

**ابن طفيل** : ماذا يخشى صوفي من مرأة؟

**(أشجان تدخل من حيث لا يتوقعون، فاتك يلفت نظرهم إليها)**

**فاتك** : لا تجزع ..
ليست جالبة.
هذى لسؤال المبتدئين.

**السهروردي** : **(مناجيا طيفا يراه وحده)**
وبعدما قطعت من سنين ..
ألوذ بالركابْ،
وأركب السحابْ،

وأطرق الأبواب،

وأَحْطِمُ الغلاف بالسلاف،

لتستقر الروح في مهادها القديم،

إذا أنا على البداية،

على طريق ماله نهاية !!

**(يتواجد – يرتمي أرضا – "أشجان" الآن تقف بينهم. تنقل نظراتها بين وجوههم – هي جميلة رغم فوضى الثياب، عليها مظاهر الانكسار والعز الذاهب – تشعر على الفور أن هؤلاء الأربعة ليسوا من أتباع فاتك، وليسوا مثله، فتميل إلى الاطمئنان إليهم والراحة لوجوههم، في حين أنهم يتأملونها بدهشة – السهروردي يتأملها قليلا، يصعد بنصفه الأعلى عن الأرض، يقول جملته ثم يرتمي من جديد)**

**السهروردي** : تبارك الجميل مطلق الجمال.

**حيّ** : **(هامسا لنفسه)**

للخلق الأول طال الشوق.

**فاتك** : ما معنى هذا القول؟

**حيّ** : **(متأملا المرأة)**

لا أدرى!

سبق اللفظ

**فاتك** : **(متوجها إلى الفلاسفة الثلاثة)**

هذى المرأة .. تدعى أشجان،

والشجن نبوءة حّظ طاحْ،

كان الأحرى أن تُدعَى لعنة!!

**ابن سينا** : أعوذ بالرحمن أن يصبّ القار في الدِّنانْ.

**فاتك** : كانت يوماً أختا لمليك.

وأبوها أيضا كان مليكْ،

والجد السابع كان.

**ابن طفيل** : مليكْ!

**فاتك** : كلا ..

بل كان كشأني، يفعل فعلى،

اختار الزمن الخاص.

**(يهزون رؤوسهم فاهمين)**

صاحب ليل،

دولته فوق ظهور الخيل.

**السهروردي** : **(ينهض قليلا – يلقى كلمته – يرتمي من جديد كأنه لم يقل شيئا)**

لصًّا تعنى؟

**فاتك** : **(بغضب خال من الوعيد)**

بل أنت اللص؛

السارق من عاش لذاته،

لا يحلم إلاّ بنجاته ..

حتى أن تكشف سوءاته.

**(صمت)**

: أهدرت حديثي يا غافل

**السهروردي** : الغافل من يغمض قلبه،

والقلبُ لدىَّ بألف شراع.

**فاتك** : فاخِرْ بأمور نلمسها ..
يا رجل الزهد المخدوع.
إن يكن القلبُ كما تزعم ..
ينطلق بقوة ألفِ شراع،
فالعقل لديك بلا نسمة،
وسأثبت قولي عمليا،
**(صمت)**
هذى المرأة
كانت ملكة،
تدعى أشجان ..
انظرها الآن وحدثني:
أين السلطان؟
أين البرهان؟

**(جالبة تقتحم المكان صائحة، وتحاول جذب أشجان بالعنف، من شعرها وثيابها - أشجان تحاول المقاومة دون أن تمتهن نفسها - لقد تعلق أملها في النجاة أن تقف بين هؤلاء الرجال)**

جالبة : جاريتي. جاريتي

كيف ذهبتِ و لم آذنْ؟

حيّ : جالبة. يا جالبة الشّر!!

أين سلامان يا شاربة الدم؟

جالبة : **(تترك أشجان وتتجه إليه – تهمس قريبا من أذنه)**

يا كاذب أين وعودك بالنسيان؟

**(ثم بصوت يسمعه الجميع)**

كيف عرفت و لم تريي من قبل

الآن؟

**(تتأمله قليلا – ثم تتجه نحو فاتك)**

أراه فوق ما وصفْتَ،

أنجيدو، فعلا، رسما، جسما ..

فاتك : مخدوعة!

عملاق قد مُلِئَ هواء.

العزلة قتلت فيه النبض.

لم يعرف أول حرفٍ في معنى

الإنسان:

صرع ويصرع ويصارع ..

والعيش صراع!!

جالبة : **(وقد عادت لمواجهة حيّ)**

لنجرّبْ

دعه لأحضاني ساعة ..

وسيعرف من أول وهلة ..

كيف يصارع.

فاتك : **(يجذبها ويزأر في وجهها)**

اللعنة.

عودي يا امرأة.

إياكِ وأن يستهويك الدور:

فتظني نفسك كاهنةً

والجسد طريقا للسلوان ..

جالبة : **(بسعادة شريرة)**

أتغار عليَّ؟

**فاتك** : لم يعرف قلبي الغيرة.

**جالبة** : أتراوغني؟ أتكايدني ؟

**فاتك** : إني مشغول

لا أرغب في خلط الأوراق.

لا اسمح بمغادرة الدْور.

وأنتِ الشصُّ ولست الطُّعْم ..

ذريني الآن.

**جالبة** : **(تجرى مرة أخرى نحو أشجان وتتشبّث بها)**

جاريتي .. جاريتي

ستُعد الماء الدافئ للحمام.

ستُدلّك ظهري .. ستمشط شعري

**فاتك** : **(محاولا إخراجها)**

بعد قليل تأتِيك، فدعينا الآن.

**جالبة** : **(وهى تخرج ساخطة)**

**جالبة** : من آذنكم ؟

جاريتي ..

كانت تكبس أقدامي، وتدغدغني ..

فأنا الملكة.

أنا الملكة.

**ابن طفيل** : لستُ أصدّق!

**السهروردي** : نُذُرٌ تتوارد. والمرآة المجلوّة

تخفى الأسرار.

**حيّ** : ما كلُّ امرأة جالبةٌ

**فاتك** : الكلُّ نساء !!

**ابن سينا** : **(مشيرا إلى أشجان)**

أوضح لي، ما شأن المرأة؟

**فاتك** : هذا ما جئنا نستفتيك.

**ابن سينا** : ما الأمر؟

أعرضهُ الآن ..

**فاتك** : الملك الظالم قهر الناس، وقبض

الرزق.

أختُ الظالم ظالمةٌ تَبَعاً!!

**ابن سينا** : **(يردّدُ عبارته بهدوء وتمعّن)**

"أختُ الظالم ظالمةٌ تَبَعاً" !!

قياسُك خاطئ. لا يقبله العقل.

**فاتك** : هي أخته.

**ابن سينا** : شئ أدركناه وليس بذنبْ.

**فاتك** : هي أخته.

أكلتْ عسلا، لبناً، وجنَتْ ورداً

من ظلمه.

لم تردعْه. لم تتمردْ قطٌّ عليه.

**ابن سينا** : ما حيلتها؟

**فاتك** : دعْها تجنى من ثمرات أذاه المُرَّة،

دعها وصمة عارٍ فيها يتلظىّ،

دعها تقلقْ نومه، قد ينهدّ.

**ابن سينا** : وقد يشتدّ!!

**السهروردي** : **(ينهض – يلقى كلمته – ثم يرتمي من جديد)**

إذا اشتدت فُرجت.

**ابن سينا** : هذا ثأرك عند أخيها ..
والوزر لصيق بالفاعل لا يعدوه.
فلماذا يلحقها ظُلمُك؟

**فاتك** : قال الله.

**ابن طفيل** : صدق الله، وحق القول، وحاشا
أن يظلم،

**فاتك** : **(يقرأ الآية بغير عاطفة، وبلهجة خطابية)**
"وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة، وكان تحته كنـــز
لهما، وكان أبوهما صالحا،
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما،
ويستخرجا كنـــزهما، رحمة من
ربك"

**الجميع** : صدق الله.

**فاتك** : فاذكر لي- إن تدرك - معناه.

**ابن سينا** : كيف تداعت أفكارك ..

فتبرهن بالعطف على الظلم؟

**فاتك** : الأب الصالح كالشجر المورق ..
يؤتي أكُله ..
في كل ربيع .. ولألف ربيع.
ونقيضه:
الأب الظالم كالجمر الكامن .. من
تحت رماد.
يأتي يوم فيهبّ حريق ..
يلتهم الأخضر واليابس.
مما خلف ..
ممن خلف، فالظلم عقيم.

**ابن سينا** : كلا يا ولدى.
سبحان الله،
قد ختم الآية بالرحمة،
والرحمة ما زاد عن العدل،
تأتى مِنَناً، تمنح عفوا.

أما حين يحلّ عقاب،

فالعدل أمان الكل،

والرحمة ترجح بالغفران.

**فاتك** : لا تحلم أن أفهم ذلك،

فأخوها الظالم لم يعرف للرفق

طريق.

القتلى في سرداب القصر بغير

حساب،

والجوع أذلّ الناس.

ما قولك في ملك مجنونٍ يضع

مكان اللقمة سيف؟!

**ابن سينا** : الملك ككل الناس أمام الله.

طائره يلزم في عنقه.

**فاتك** : ما هذا موضع فتوى. أعرف ذلك.

**ابن سينا** : **(يشير إلى فاتك)**

وشهادة فرد لا تقبل ..

**(يتراجع قليلا – تتقدم أشجان – لا تهتم لفاتك مطلقا – تتحدث إلى الفقهاء وحدهم وكأنها في موقف الاعتراف)**

**أشجان** : سادتي ..

لا أنشد الدفاع عن شقيقي الملك.

فلست أملك البرهان أنه ظلم ..

أو أنه عدل.

الذنب لصيق بالفاعل ..

قد قال الشيخ ..

أو بالآمر.

لكنّ الحكم على الشيء الواحد

حمّال وجوه.

مثلا:

قد يطمح ملكٌ للقوة، ويفكر في

آتى الأزمان ..

والناس تريد الخير الآن!!

فاتك : (يقاطع أشجان)

أرأيتم ؟!

مازالت تحلم ببراءة ذئب مسعور!

أرأيتم كم كنت محقاً؟

لون مختلف من ظلمه!

أشجان : لم أقصد، والله شهيد.

قد مِلتُ إلى شئ آخر ..

أرجو التطهير.

السهروردي : مذنبة أنت؟

أشجان : أجل أذنبتُ ..

والذنب كبير !!

السهروردي : التزمي الستر على نفسك،

وارجي الغفران

فاتك : هذا تحريض.

بل قولي، واعترفي.

هَّار!

خذ هذا "الشيء" فأخرجه،

كي لا أرديه !

**(يقبل نهار ليجر السهروردي الذي لا يزال قابعا، ينهض السهروردي ويتجه نحو فاتك، غير عابئ بالتابع)**

**السهروردي** : قل لي يا ..

ما اسمك؟

**فاتك** : فاتك.

لن تنسى اسمي بعد الآن.

**السهروردي** : قد فاتك أن تعرف قدرك.

أفطنت لنكتي اللغوية؟

**فاتك** : لا يشغلني أن تلعب بالمعجم.

اللعب بحق الناس هو المحذور.

وأراك تحول بألعابك ..

ما بين المجرم والتأديب.

أتمارى في بطشه سيفي؟

**السهروردي** : فكأنك لم تفهم قولي ..

أرأيت عبادا تخشى اللهٰ؟

أنأ لا أخشاه!!

**فاتك** : لكنك حتما تخشاني.

جاوبني!

**نهّار** : يا شيخ تمهل إذ ستجيب.

**فاتك** : لا تشغل بالك يا نهار.

الشيخ ذوى. أضناه الجوع ،

والمعدة بيت الميرة للأفكار.

(**متهكما**) الجوف فراغ ..

الرأس فراغ.

**السهروردي** : (**متهكما، وهو يكاد يسقط إعياء**)

الجوف ملئ .. العقل رديء،

كمثل البقرة في المحراث.

**نهّار** : اصمت يا شيخ ولا تمدد لضرام

النار،

قد صبر عليك، وقد تعجب أنك
موجود.
وحقيقة فاتك لم تسبر، إذ ليس
نظير.
وحقيقة فاتك إن تَهْدر، في الجو
تطير.

**فاتك** : مذنبة أنتِ. بإقرارك. هذا
معروف.
لكن:
لِم ذاك؟ وكيف؟ وما الأهداف؟
قولي للشيخ سيفتيك ..
والآخر يتحرق شوقا.
**(ثم متجها نحو حيّ)**
أما هذا .. فالقول جميعا لا يعنيه.

**حيّ** : بل يعنيني ..
لا تسخر .. ما أنا بالصامت

عجزا ..
ألأني أصمت مختاراً
لترى آذاني وعيوني ..
فأراك كما لم تر نفسك.
وأرى غيرك.
الصمت حوار.

**فاتك** : الصمت هراء متستّر.
وغثاء يخشى أن يكشف.
قولي .. أشجان ..
لا تنوِ الصمت ليكتشفوا لونا آخر..
من هجر القول، وفحش الفعل.

أشجان : **(تتقدم فتتوسط المسرح، وتوجه حديثها للجمهور وكأنها تخاطب الفقهاء)**
سادتي ..
من باب لوعة الندم .. سأعترف..
بما أتت يداي من خطيئة ..

لكي أريح منكمُ الضميرْ ..
لما تروْن من مذلةٍ، يعوزها
التفسير.
أما أنا، فإنني إلى سقرْ!
وموئلى بئس المصير!

**ابن طفيل** : لا تعكفي على الهموم يا ابنتي ..
فليس من خطيئة إلا ونبعها
الغفران.

**أشجان** : لكن ذنبي العظيم ..
يفوق كل ما سمعت أو عرفت من
ذنوب ..
وإنني آمنت أن هذا الفاتك
الشيطان ..
رسول رحمة منـــزّل من السماء،
وسيفه موكلٌ بنقمة مقدسة.
قوامها: الشفاء في البلاء.

أما جالبة ..

مولاتي !!

فتؤكد أن الزمن يدور.

قد كانت عندي جارية ..

لكنى الآن ..

أرجو أن ترضى عنّى ..

أو تترفق في التأنيب.

قد كانت تنفق أياما ..

بل أعواما ..

تتغنى بالحسن القاهر،

تستكشف آفاق الحكمة ..

في قولي. في صمتي ..

في فعلى. في منعي.

لكنى اليوم !!

.. وأنا من يومي مشغولة

سأبخر أرجاء الحمّام ..

لمليكة هذا القفر ..

وهذا البحر الغدّار.

**(صمت)**

لكنى. لكنى ...

سأطمئن كل خواطركم.

لا أشعر أنى مظلومة،

أو أن الأمر بلا تدبير ..

من يزرع شوكا يحصدْه

إن يرضَ يصلْ حدّ التطهير.

**ابن طفيل** : لا تيأسي أشجان.

لم يجتمع يأس مع الإيمان.

**أشجان** : **(تتجه إلى ابن طفيل)**

قتلت طفلي!

**(تكرر عبارة: قتلت طفلي، وهى تتجه إلى ابن سينا، ثم وهى تتجه إلى السهروردي – الدهشة والذعر يستوليان على وجوه الفقهاء الثلاثة –**

**حيّ يرتاع – يدور حول نفسه – يتحسس جسمه . . ينظر إليها بألم)**

**حيّ** : قتلته ؟

يا للشقاء !!

وكيف تنكرين آية الرحمن؟

**فاتك** : لا أستغرب شيئا من أخت الظالم.

للإثم عروق دساسة.

**(ناظرا إلى ابن طفيل)**

ردّى للشيخ نصائحه الفجّة

**أشجان** : أسلمته للموت. لكن ..

لم تلوثني الدماء.

**فاتك** : ذاك أسلوب أخيها!

يقتلْ، وليس من دليل.

**أشجان** : دع أخي. كان مفتاح البلاء.

قد تناهى الكبر في أعماقه ..

واشمخر الجبروت.

وأنا كنت فتاة ...
زانها الأصل بهاء.
وسعى الأزواج نحوي ..
من قريب وبعيد.
وهواي لابن عمىّ ..
كامنٌ بين الضلوع.
وأخي المغرور لا يرضى به ...
أو بسواه!!
فرأيت العود يذوي ..
قلت: أسقيه الحياة.
بحلال. أشهد الرحمن ربىّ ..
كان زوجي ابن عمى.
غير أن السر يطوى ..
طالما يرعاه زوج.
فإذا صاروا ثلاثة ...
أنت تعرف!!

وإذا المرأة حامل ..

ذلك السرّ المذاع !!

غير أنى.. قد كتمت الأمر حتى..

ولد الطفل وصاح.

وإذا الصيحة بوق ..

يجتنى شرّ الجنود.

**(صمت)**

فكر الزوج مليا ..

وتمنى الاعتراف ..

والتماس الصفح عنى،

وعن الطفل الصغير !!

أنا فكرت بدوري ..

وتمنيت الهروب،

ومعي زوجي وابني ..

وتأملت المصير ..

قلت للزوج تمهّل ..

أنت لا شك قتيل !!

وأنا أيضا قتيل ..

لكن. الطفل برئ ..

كيف يرديه الظلوم؟

قلت: لو يخفى بليل ..

قد تواتيه النجاة.

خدع اليأس فؤادي،

فإذا الجرم المصير.

**(صمت)**

مثل درّ البحر

قد أودعته قعر المحار.

وإذا الصندوق يلعب ..

بين أنياب المياه.

وإذا المدُ يباعد ..

بيننا حتى الممات.

آه من لوعة أم ..

ثكلت ابنا وحيد.

آه من حسرة أم ..

حرم الدمع عليها،

لم تناغ الابن يوما،

لا ولم تلثم جبينه.

لا، ولم تحضن قميصا ..

فيه ريح من شذاه.

لا، ولم تنعم باسم ..

فيغنيه اللسان.

غير أن الخطف والإذلال ..

قد هتكا الغشاء،

فإذا الدنيا سواد،

وإذا السلوى البكاء.

**(صمت. السهروردي ينهض من غشيته، فكأنه رابض)**

**السهروردي** : يا ابنتي.

لو تذكرين ..

لم تفعلي الأمر ابتداء.

أم موسى من زمان ..

واجهت نفس المصير.

**أشجان** : أيها الشيخ الحنون ..

هل تكنّى لنجاته؟

**السهروردي** : ابشري ..

ليس النجاء بالمحال.

وخالق البحار صاغها من المياه،

ويستطيع - لو أراد - أن تكون

من حديد،

ويستطيع - لو أراد - أن يعيد

المعجزة،

فيحمل الوليد من رسالة السماء،

ويومض السرور في فؤادك

الحزين.

**أشجان** : رسالة السماء!! هل تقول!

**ابن سينا** : حذار سهروردي لا تعيدها.

لا تقترب من الحمى.

**السهروردي** : لكنني أردت ...

**أشجان** : يا سادتي ..

لا تذهبوا إلى بعيد.

وخاطبوا أمومتي المعذبة:

هل للفتى نجاه؟

وهل تولى الله أخذ ثأره ..

إذ دحرجتني إصبعه ..

من قنة الترف ...

إلى وهاد الذّل والشقاء؟

هذا السؤال.

**فاتك** : فما الجواب؟

وقبل أن تجيب ..

ضع كذبها في الاعتبار،

بل إنك سيدتي ..

لا أتطاول للمقدار.

**جالبة** : سيدتي أنت ..

لا تخشى أنى أتصنع ..

أو أتدبر أمر مكيدة.

قد عدت إليك بقلب بكر ..

غسلته كلمات في مشرق هذا

اليوم.

هزتني دمعة أم ..

نابعة من أعماق القلب.

لا تعرف فرقا بين سليلة قصر ..

وربيبة سوق.

فالأم مجرد أم ..

والطفل مجرد طفل.

هيا نبتهل بأن الله ..

يكون أطال له في العمر

وأن تبتسم عيونك يوما للقائه.

كم بلغ من العمر تظنين؟

**أشجان** : يحسِبهَ ضميري كل صباح ..

قد جاوز عمر الورد،

وصار فتيا كالنخلة ..

حاملة الأثمار.

هذا إن عاش!

**جالبة** : طبعا . عاش!

**حيّ** : قد عشت ظروفا أقسى!

**جالبة** : لا تبكى يا أم الأحزان.

**فاتك** : صمتا ..

تباً للدمعة باب الضعف.

تخليط نساء ينقصهن العقل.

"الأم مجرد أم" !!؟

هل كانت أم الملك الظالم أما لا

أكثر.

أم منبع شر؟

**جالبة** : **(تتجه نحو فاتك بشراسة)**

فليصدق قولك في أمك،

ماذا كانت؟

فكر في الطفل برئ النفس.

**(يتقدم نحوها ليجرها – يظهر الخوف على وجه أشجان)**

**أشجان** : لم أقصد أن أصنع فتنه.

قد قلت بأمرك ما قد قلت.

سيدتي تشهد. ما قصّرت.

**فاتك** : سحقا. سحقا.

بل وفّى الكيل وفاض.

وأنا لم آمر بدموع،

وأمرتك أن تلغي الإحساس.

**(صمت)**

تقدم يا نهار.

**(يشير إلي أشجان)**

ألق بالمرأة للسجان،

أما الأخرى ..

فهواي الفظ يشلّ خطاي.

لكنى لا آمن نفسي ..

قد آكل منها ما أبغي،

فإذا ما أطبق جنح الليل ..

سألقى الباقي للأسماك.

**(يتقدم نهار – يقود أشجان – تتبعها جالبة)**

**جالبة** : بل اتبع قلب الإنسان،

وأفتش عن طفل ضائع ..

يشتاق العودة للأحضان.

**فاتك** : بوئي باللعنة

**(لنهّار)**

أخرجها!

مخدوعة ..

ما عاد بطفل ..

بل ذئب شرير ..

مثل الخال ومثل العم.

تتقزز نفسي بكلاب

تلهث إن تحمل أو تترك.

هذى الملعونة لو تعرف ..

كالحشرة كانت من دوني ..

لا تعلو عن كعـــب حذاء.

ولأن الأصل وضيع أو مجهول،

لما ارتفعت .. جفلت ..

واشتد دوار الرأس فلا تمييز.

والآن تعود لموقعها خلف الأسياد.

لكنى لن أقبل ذلك.

**(صمت)**

ونعود إلى ما كنا فيه.

وأريد جوابا دون جدال.

أسألكم: من جمع الأثمار؟
طبعا فلاح!!
أسألكم: من دفع الثوار؟
**ابن سينا** : طبع الأشرار!
**فاتك** : خلط فاضح ..
وهروب يرفضه فكرك،
أنا أعرف قولك في الأبراج،
وتدرج أسباب التأثير.
ولأنك تؤمن بالسبب الأول،
ما بالك لم تسأل نفسك:
ما السبب الأول للمظلوم؟
ما السبب الأول للجوعان؟
ما السبب الأول للإذلال؟
ما السبب الأول للحرمان؟
صدقني ..
القصر هو السبب الأول لوجود

الكوخ.

الذهب هو السبب الأول لضحايا

الجوع.

لو تبحث في السبب الأول ..

تجد التفسير ..

وتراني جزءاً من تركيب ..

أنتجه من فعل الظلم الأول.

**ابن طفيل** : يا ولدى قولك يظلمنا

لسنا في الشُّرَط، وليس بأيدينا

حكم وقضاء...

نحن فلاسفة .. لا أكثر.

**فاتك** : فلاسفة؟!

**ابن سينا** : قالوا عنّا!!

**فاتك** : ما تعنى فلسفة عندك؟

**ابن سينا** : تعنى شيئا ألمحت إليه.

تعنى : الكون قديم أو محدث؟

تعنى ما المنهج كي تعرف:

العقل أو النقل أو الفيض؟

**(السهروردي ينهض فجأة – يقول كلمته – ثم يعود لوضعه المستمر)**

**السهروردي** : الفيض هو القول الراجح.

**ابن سينا** : **(مستمرا – متجاهلا المقاطعة)**

تعنى : بحثا في الماهيات ..

في الكليات.

**ابن طفيل** : تعنى حصرا للاستقصات.

**فاتك** : **(مرددا بتعجب لغرابة الكلام)**

الماهيات الاستقصات!!

أغرقني طوفان الكلمات.

**ابن سينا** : ليست كلمات. بل سرّ حياة.

العقل هو العلم الخالص.

هل تدرى معنى الاستقصات؟

**فاتك** : **(بتهكم خفيف)**

علمني. منكم نتعلم!!

**ابن سينا** : الاستقصات هي المبدأ .. يعنى:

العنصر.

والعالم ركب من أخلاط.

كتراب خلط ببعض الماء،

ولهيب قد أذكاه هواء.

**ابن طفيل** : من هذا قد صنع العالم.

هذا مفهوم.

نحن فلاسفة لا تنسى ..

نعنى دوما بالكليات. لا الجزئيات.

**فاتك** : بعض الذكرى تحضرني الآن ..

إذ كنت صبياً في الكتَّاب.

شيخي علمني منذ زمان،

أن أحفظ قدر رجال العلم.

أنهض بخشوع لعمامة ..

تمضى بجلال كغمامة ..

تمطر في الناس خصال الخير.
لكنى حين كبرت.
لكنى منذ عقلت.
لكنى بعد حوار اليوم.
أعيد القول:
يا بئس القول لفلسفة ..
يتسع مداها للأكوان،
وتضيق بآلام الإنسان.
أو ليس الإنسان بعنصر؟
هل شوّه مبدأ هذا الكون؟
أو منح العنصر معناه ..
وأضاف الفعل؟

**ابن سينا** : يا ولدى. لا تغضب
العلم حدود ومبادئ،
ومبادئ علمي تتمحور ..
حول الثابت.

والجسد خليط لا عنصر ..

يتغير بمضيّ الأيام.

**فاتك** : علمك ينطلق من الثابت

أما الإنسان فيتغير ؟!.

**ابن سينا** : من غير جدال!.

**فاتك** : هيه ..

عفوا .. ننطلق لموضوع آخر.

لا تصفوني بالمتطفل!

لكن لا بأس ..

فالمقصد أن نستجلي القول.

**(صمت)**

هل منكم من كان وزيرا؟

أو جلس قريبا من سلطان؟

**ابن سينا** : لا يخفى ما يعنى قولك.

**ابن طفيل** : هل تخشى العقبى من فعلك؟

**ابن سينا** : إن تُعِد المرأة قد نشفع ..

فتنال العفو.

**فاتك** : **(بشيء من التهكم)**

العفو!! وهل يشمل عندك ..

رفضي لمبادئ فلسفتك؟

هل عفوك يرجع للثابت ..

أو يتغير؟

فتصير جحيما يصليني ..

إذ أنت هنالك تتبختر ..

في صحبة ملك أو سلطان!!

**ابن سينا** : لم أتبختر .. أبدا ما كان.

**فاتك** : لكنك كنت صديقا للسلطان!

**ابن طفيل** : ماذا في ذاك؟

أنا أيضا كنت طبيبا ومشيرا.

**ابن سينا** : هل تكره تمجيد العلماء!

**فاتك** : أكره تجميد العلماء

**السهروردي** : ها أنت تداعب معجمنا ..

والنكتة جاءت محبوكة.

**فاتك** : الحكم عطاء،

والضوء الباهر صنو عماء،

**(لابن سينا)**

هل تذكر حكمك في أخت الظالم؟

**ابن سينا** : أشجان!!

**فاتك** : هو حكم وزير.

اعتاد النعمة لا يسأل من أين

تجئ!

اعتاد السلطة لا يعرف معنى

الطغيان.

لا تعجب إن كنت تراه ..

يجتاز العالم للأكوان،

ما بين نجوم ومدارات،

ما بين مبادئ واستقصات،

ما بين كلام في العقل الأول،

وكلام في العقل التاسع.

إن رحت تساءل: والإنسان ؟

قالوا: هذا في المتغير!

ونسوا أهم العنوان.

**(نهار يقتحم المكان يبادر)**

**نهار** : مولاي ..

بدا في الأفق شراع.

**فاتك** : **(مخاطبا الفقهاء)**

أحسبه ينتسب إليكم.

**نهار** : يتوسطه علم أسود، وعليه

سيوف.

**فاتك** : لا تكمل. قد وضح المقصود.

**نهار** : هل تأمر: أقتلهم. أو أخفيهم.

**فاتك** : دع هذا الأمر ولا تسرف ..

نتركهم في أسر ضمير ..

يعترف اليوم بلا أعرف.

**(صمت قليل. ثم بحسم)**

: اسمع نهار!

لا تترك أكلاً أو شربا ..

وأصحب جالبة وأشجان ..

وأحمل رغباتي للربان ..

ينشر أشرعتي للإبحار،

وأنا في إثرك بعد قليل.

**(للفلاسفة الثلاثة)**

: مشيختي ..

لم أقصد أبداً

إيذاءً، أو حطّ الأقدار،

فأنا - عفوا - لصٌّ فاتك ..

أما أنتم، فشموس نهار.

وسألقى في البحر مصيري ..

وسيأتي من يأخذ بالثار.

**(ينصرف فاتك)**

**حيّ** : (صارخا. مناديا)

تمهل، يا إنسان، تمهّل

**ابن سينا** : دعه ليرحل.

قد أزعجنا بغثاء كلام.

**السهروردي** : النور تمازجه الأوحال.

**ابن طفيل** : وأرى صدقا يطلب عدلا،

يتخذ الظلم طريق وصول.

**حيّ** : هل حقا كنتم حكاما ..

أو شيئا ما حول الحكام؟

**ابن سينا** : أو تجهل ذاك؟

**ابن طفيل** : ومتى سنفكر ونؤلف ..

إن لم نلزم باب الأرزاق؟

**ابن سينا** : بل كيف ندافع أفكارا ..

يحملها الجهلة والغوغاء؟

**السهروردي** : قد يحمى الحاكم فلسفة،

لكن بشروط!

وتذكر ما قال الفاتك ..

فالقول صحيح.

وجنوح الصوفي للعزلة ..

نفى الشبهات.

**حيّ** : العزلة !!

**ابن سينا** : لا تشغل بالك بالعزلة.

**حيّ** : أنا أحياها ..

**ابن سينا** : اترك تمحيص الأمر لنا.

**ابن طفيل** : ولنرجع للوضع الأول ..

أين الأسماك؟

هاتوا نتغدى ..

ولننس شقاوة هذا اليوم.

**حيّ** : ننسى!

**ابن سينا** : النعمة تكمن في النسيان،

وكأن الحادث ما قد كان.

**حيّ** : لكن الكائن لا يُمحى ..

وتذكر ما قال الفاتك ..

فالقول صحيح.

وجنوح الصوفي للعزلة ..

نفى الشبهات.

**حيّ** : العزلة !!

**ابن سينا** : لا تشغل بالك بالعزلة.

**حيّ** : أنا أحياها ..

**ابن سينا** : اترك تمحيص الأمر لنا.

**ابن طفيل** : ولنرجع للوضع الأول ..

أين الأسماك؟

هاتوا نتغدى ..

ولننس شقاوة هذا اليوم.

**حيّ** : ننسى!

**ابن سينا** : النعمة تكمن في النسيان،

وكأن الحادث ما قد كان.

**حيّ** : لكن الكائن لا يُمحى ..

أبدا لا تذهب تجربة من غير دليل.

هل تزعم أنك يمكن أن تنسى ما

حدث اليوم؟

**ابن طفيل** : ننسى .. نتناسى .. الأمر قريب.

**حيّ** : الأمر بعيد.

ودعوني الآن لأتأمل .. أين

سأخطو.

**ابن سينا** : جهتي طبعا.

**السهروردي** : نحوي قطعا.

**ابن طفيل** : بل معي الآن.

جئنا من أقصى الزمن، وأقصى

الأرض

لنرصد أين تروح خطاك.

**حيّ** : لا أخطو في مجهول ..

هذا حكم العقل، وأنتم أرباب

المعقول.

فلنبحث في السبب الأول ..

ولنتدرج.

ابن سينا : صدقتَ مزاعم ذاك الوغد ؟!

حيّ : صدقت دموع التوبة في أشجان ..

صدقت عذاب الحيرة في جالبة ..

وبفاتك شاهدت الإنسان!!

"ننسى، أو نتناسى .."

ما أقسى القول.

ما أقسى القول.

من أين تهب رياح النسيان؟

أسألكم، وأجيب:

من باب العزلة.

العزلة. العزلة.

من بدأ حياتي في العزلة؟

من وضع مصيري في العزلة؟

**ابن سينا** : أمك.

**السهروردي** : القدر وأمك.

**ابن طفيل** : القدر وأمك والأمواج.

**حيّ** : العزلة داء. أو باب شفاء؟

من أين لمثلى أن يعرف ما معنى

الشر؟

من أين لمثلى أن يدرك آلام الفقر؟

من أين لمثلى أن يشعر بهوان

القدر؟

أفتوني ..

بل أسألكم ..

ما معنى أن المرء برئ؟

**ابن سينا** : قول واحد: معناه أن الرجل بغير

ذنوب.

**حيّ** : معناه أنا ..

**ابن طفيل** : تمثال ناصع للأطهار.

وكذا شئناك ..

**السهروردي** : وما شئنا إلا بالله.

**ابن سينا** : ولتأخذ عظة من فاتك، إذ كان

أراد ..

أن يصبغ ثوبك بدماء، وتخوض

العار.

**(سلامان وأبسال يقتحمان الساحة ويقبلان على حيّ)**

**أبسال** : حمدا لله بأنك حيّ.

**سلامان** : قد رحل الذئب وأشياعه.

**ابن طفيل** : اكتمل الفرح بلم الشمل

ونعاود سيرتنا الأولى ..

حيّ : ننسى أو نتناسى .. فكذلك قلت !!

ونعاود سيرتنا الأولى ؟!

والناس على الشط الآخر؟

والمرأة في قعر المركب؟

والأخرى ترنو للتوبة،

والفاتك يلقى أسئلة ..

ويحير جواب.

والكل رماني في العزلة ..

وانغمر "يناضل" في الأسواق ..

السهروردي : غيري .. فأنا مثلك.

حيّ : أنت تكلمت، وعشت، وجربت

وأخطأت، فأدركت ..

السهروردي : فعدت إلى العزلة !!

حيّ : أنا حي بن اليقظان،

لكنى ما جربت حياة قبل اليوم.

يقظان كيف .. والعزلة نوم ؟!

سلامان : لم تسألنى ما دبرت ؟!

قد أشعلت النار بسيف البحر،

فارتفع لسان بدخان لعنان الجو،

لم يلبث أن قاد سفينا لكمين

الوغد.

حيّ : وأخي أبسال ؟

أبسال : ذاب القلب، وهطل الدمع ..

وهتف لساني: يا الله ..

يا من يحفظ روح الذّر بقلب

الصخر،

يا من اخرج يوسف من أعماق

البئر،

وبكيتُ، فخاض الدمع سفين ..

وتلاقى السبع مع التنين.

**سلامان** : **(كأنما يحدث نفسه)**

لن اترك جالبة تمضى ..

قد بقيت في الكأس ثمالة.

سنعاود قصة الجيدو.

**حيّ** : ما عادت ترضى جالبةٌ ..

قد خاضت بحرا من عبرات.

تركتك على الشط وحيدا ..

تنهشك الذكرى والحسرات.

لكن أشجان ..

**سلامان** : امرأة أخرى؟

**حيّ** : بل دمعة حزن مبذولة.

سلامان : لم أعرفها!!

حيّ : يعرفها قلبي في الأحلام.

**(ثم موجها خطابه لابن سينا)**

الآن تأمل يا شيخي ..

حال سلامان.

قد كان بريئاً .. في قولك ..

والقلب غرير.

لكن الرأي على زعمي ..

يحتاج دليل.

لا أغصب نفسي منـــزلة ..

يأباها الحال.

فالبرء مقاومة تأبى ..

غشيان ذنوب.

والعزلة موت يمنحنا ..

طهر الأموات.

**(موجها حديثه لابن طفيل)**

من أجلى أخليت جزيرة،

لكنى الضائع في المجهول.

وأعانى من غربة روحي،

لا أعرف شيئا كيف يكون.

وأراني قد كنت مريضا ..

عالجه الفاتك بالصدمات.

ما رأى شيوخي في قولى ؟

**(يتبادلون النظر – يشير كل إلى الآخر أن يتحدث عن الجميع – يتقدم ابن سينا)**

**ابن سينا** : لا معنى للعجلة لكن: يمكننا القول:

إن التجريب أساس العلم،

ولقد جربنا عزلتنا من أجل

الروح،

وأردنا الصوفيّ بعيدا عن كل

الناس،

لينال الحضرة، وليحظي بسلام

القلب.

**حيّ** : "أردت الصوفي بعيداً عن كل

الناس" !!

**ابن سينا** : الخير أردنا، لو تعرف ..

لن تتحلى ..

إلا عن ذاتك تتخلّى!!

**حيّ** : وحديث الفاتك أين يكون؟

**ابن طفيل** : يحتاج إلى فصل آخر،

أو بعض فصول.

**ابن سينا** : سأعاود نظري في الأوراق.

**حيّ** : تلك سبيلك.

**الثلاثة** : وسبيلك أنت؟

**حيّ** : سبيلي في الشط الآخر. أعبر الناس.

**ابن سينا** : والعلم؟

**السهروردي** : ومتى تعتزل لتتأمل؟

**ابن طفيل** : والشوق إلى كشف المجهول؟

**حيّ** : لم يغب المعنى عن فكرى ..
فأنا الصوفي.
وسأبقى أبدا صوفيا.
لكنى دوماً أتصوف .. وأخوض حياة.

لكني دوماً أتصوف .. في حب

الناس.

مبتدأ الصوفي تأمل ..

في معنى الخلق.

والخوض ببحر الخلق سبيل

الحق.

فلتحمل خرقتك وترحل ما بين

الناس ..

في العلم تصوف.

في العمل تصوف.

في الحب تصوف.

في الحرب تصوف.

في دمعة طفل يمسحها المنديل

تصوف.

في بسمة بشر تهديها للمحزون

تصوف.

حين يكون الوجه تجاه الناس ..

ومرايا القلب تجاه الله.

الفكر شريعة عقل ..

والعمل شريعة يد ..

وبرئ من يقترف الذنب ..

ويأسو الجرح.

وجهاد النفس بكف الشرَ ..

وفعل الخير.

وليس العزلة والتعطيل.

(يحمل أمتعته بهدوء - ينظر إليهم صامتاً - يستدير متوجها نحو البر - أبسال وسلامان يسرعان في أعقابه .. يمضى حتى يختفي. الفقهاء الثلاثة وحدهم. يتبادلون النظرات في صمت).

# فهرس